معتز عرفان

18+



الميسوجيني اللعين

(رواية قصيرة)

دار عرفان للنشر

معتز عرفان

الميسوجيني اللعين

دار عرفان للنشر

الميسوجيني اللعين (رواية قصيرة)

توضيح

يتطرق هذا العمل الروائي القصير إلى شخصية تعاني من خلل شديد، خلل تمثل الميسوجينية جزءا منه، فلا يتطرق إلى الصورة المقبولة جزئيا لكنه يهتم بالتعظيم والتهويل، وهو ما يؤدي في نهاية المطاف إلى تكوين شخصية غريبة الأطوار شديدة التعقيد. ومن الضروري أن أشير إلى حقيقة أن الميسوجينية (احتقار النساء) بمثابة الأمر الشائع في الكثير من المجتمعات، وهو ما يتمثل في التهميش أو التقليل من الشأن أو إظهار الهيمنة الذكورية بشكل غير معقول. ففي بعض المجتمعات، تعامل المرأة ككائن مخلوق من أجل الجماع وطهي الطعام لا أكثر ولا أقل، وفي مجتمعات أخري، تتعرض المرأة إلى التهميش والاحتقار وتمنع من ممارسة الكثير من الأنشطة والسلوكيات. وقد تمارس الميسوجينية من قبل بعض النساء تجاه الجنس الأنثوي في الكثير من الحالات، وهو ما تم رصده في أكثر من مرة وفي أكثر من مجتمع.

لقد ظهرت الميسوجينية في كتابات عدد كبير من فلاسفة الغرب، حيث قلل أرسطو من قدرات المرأة العقلية ووصفها بالعاطفية المتهورة، وربطها جان جاك روسو بالمنزل، ووصفت من قبل الكثيرين بكونها أساس الشرور لاعتمادها على الإغراء والإغواء. أما نيتشه، فقد رأي أنه من الضروري ألا ينسي الرجل سوطه حينما يذهب إلى امرأته، بينما أظهر شوبنهاور كرها واضحا تجاهها.

من الضروري أن أشير إلى حقيقة أن الكره قد ينجم عن موقف محدد، موقف أثر في حيوات هذه الشخصيات، فالأمر لا يتصل

بالجينات أو شيء من هذا القبيل، لكنه يتصل بالتربية والبيئة والمواقف ودرجة الحساسية، وهو ما يؤكد حقيقة أنه من الممكن أن تتكون عقدة نفسية عند رجل ما كنتيجة لفشل تجاربه مع النساء أو كنتيجة لموقف محدد ربطه بإحداهن، وهو ما يظهر في بعض أجزاء هذا العمل، رغم أن الميسوجيني الذي نتطرق إليه قد ولد علي هذه الشاكلة، لأسباب غير واضحة، وهو ما يحاول أن يخلق بيئة ساخرة، لكنها في نفس الوقت جادة ومهتمة بالتحليل والبلورة.

تري بعض الدراسات أن الفيمنستية الشرسة التي اجتاحت الكثير من المجتمعات مؤخرا، أدت إلى ظهور الكثير من الأنماط الذكورية الميسوجينية المضادة، خاصة أن بعض النساء قد أظهرن مبالغة في المطالبة بحقوقهن دون الاعتماد على صورة معتدلة مقبولة، متجاهلات حقيقة أن الكثير من المميزات التي يتمتع بها الذكور تعادلها مميزات منحت للمرأة لكن ضمن سياقات مختلفة وفي إطار مناسب لطبيعتهن وهيئتهن، وهو ما تطرق إليه عدد كبير من الدارسين والدارسات.

تري بعض النسويات أن الإبداع الذكوري يتفوق على الإبداع الأنثوي بوضوح وبفارق كبير، كنتيجة لإتاحة الفرص للرجال، وهو ما يتصل بالرؤية النسوية التي تؤكد أن الرجال قد سيطروا على الكثير من المجالات منذ قديم الأزل دون السماح للإناث بأن يتمتعن بنفس المساحة أو الحيز.

إن مصطلح ال**Misogyny** يعادله مصطلح ال**Misandry** بصورة مباشرة أو بصورة تمثل رد فعل الإناث، لكنني قد تطرقت إلى المصطلح الثاني في عمل سابق، ولهذا من الأفضل أن

أهتم بالمصطلح الأول والتطرق إلى تفاصيله في هذا العمل الروائي العميق والمفعم بالكثير من النقاط المثيرة والمؤثرة.

ومن المهم أن أوضح حقيقة أن أعمالي لا تحمل أي تناقضات، لكنها تتطرق إلى الكثير من السياقات، وهو ما يؤدي إلى العمل على تحقيق التوازن والانسجام في نهاية المطاف رغم وجود النقاط المتضادة، لأن النقاط المتضادة من الممكن درء تناقضها عبر فهم السياقات ومحاولة الجمع بينها ضمن إطار متوازن ومفعم بالكثير من النقاط المتواكبة، وهو ما يؤكد حقيقة أن التناقض غير موجود حتى ولو كان ملحوظا في بعض الأحيان، لأنه غالبا ما يكون ظاهريا، وغالبا ما يتم دحضه بصورة لاحقة عبر التطرق إلى عبارة محورية أو مؤثرة تنطق علي لسان إحدى الشخصيات.

المرأة مصدر اضطراب، المكر ثوبها، والخداع لعبتها، فاحذرها!

-الميسوجيني اللعين

من الممكن لعبيدة أن تنزل بشاب خام إلى غياهب الفتنة في ظرف لحظات، وهذا وحده كفيل بأن يدفعك إلى ارتداء ثوب الحذر حينما تتعامل مع الماكرات.

-الميسوجيني اللعين

أكره كل نساء العالم، وأرغب في دفن أفكارهن الغريبة عن الاستقلالية والمساواة، وأبغض فتيات العالم الثالث وأوهامهن بشدة، وكل ما يتعلق بهن من تناقض وتمثيل.

-الميسوجيني اللعين

لست بـ**Simp** كي أطارد امرأة وأكافح من أجلها.

-الميسوجيني اللعين

-1-

تري الكثير من الدراسات أن الميول الجنسية الشاذة تتصل بالجينات، بينما تري دراسات أخري أنها تتصل بالبيئة والتنشئة، وفي نفس الوقت من الممكن ممارستها كنوع من الرفاهية، تلك الرفاهية التي عمد إليها قوم لوط. ورغم ذلك، من الضروري للفتاة السحاقية، على سبيل المثال، أن تعمد إلى الحجب وأن تسيطر على شهوتها كلما برزت، فيصبح شأنها شأن الفتاة العفيفة التي لم يتوفر لها الزواج أو التي لم ترغب فيه بأي شكل من الأشكال. وإن حدث خطأ ما، فمن الضروري أن تتخلص منه بسرعة وأن تعود إلى طريق الإله، على أن تشغل نفسها بكل ما يبعدها عن هذه الدائرة المرهقة.

لقد سمعت أن فتاة كانت ترفض العرسان بشكل دائم، وأن أهلها قد اكتشفوا فيما بعد أن سبب عدم التوافق بينها وبين من يتقدمون إلى خطبتها، ناجم عن حقيقة أنها تعاني من اختلال في الميول، وربما كانت تسيطر عليها حالة من البايسكشواليتي، حالة منعتها من تحقيق الاستقرار فيما يخص عملية التعبير العاطفي والحسي.

إن عملية التعبير العاطفي تختلف بقوة بين البشر، وحدة الشهوة متنوعة ومختلفة بشكل كبير للغاية، وفي نفس الوقت ليس من الضروري للجميع أن يتزوج حتى ولو كان الهدف الرئيسي للوجود متمثلا في التكاثر والعمل على تشكيل عائلة عبر السعي الدؤوب الذي قد يعامل معاملة الصدقة وقد يمنح صاحبه وصاحبته الكثير من الحسنات والثمار.

وهو ما يؤكد حقيقة أنه من الضروري لمن لم يتوفر له إطار التعبير العاطفي أن يشغل نفسه بكل ما يثمر عبر الاعتماد على السياقات الأخرى القادرة على تفريغ الطاقات وشغل العقول.

أما طريق العربدة والخروج عن المألوف، فإنه قادر علي إبعاد الإنسان عن طريق الإله، ولن يولد سوي الأسي والهراء وبذل المجهود فيما لا يفيد على المدي البعيد دون تحقيق الإرضاء المطلوب بصورة مستقرة ومطمئنة.

كنت أتنقل بين هذه الكلمات التي شكلت مقالة لكاتب معروف، وقد شعرت بحالة من الاستياء، فلم أفهم ما عرضه ولم أتفاعل معه بقوة، وقد تساءلت عن حقيقة كل هذا الهوس بالعواطف البشرية، تلك العواطف المتقلبة، تلك العواطف التي تنهكنا على مدار الطريق.

وقد ابتسمت كاشفا عن سخرية دفينة، وتأملت تلك العقليات المضطربة التي تبحث عن الخروج عن المألوف، لأن المنطق يخبرنا بأن الحميمية العشوائية مدمرة للنفس على المدي البعيد ومنهكة لها، حيث أنه من المعروف أن الهدف الأساسي للحميمية يكمن في توثيق الروابط وتقويتها وتدعيمها بين شخصين، ولهذا من الضروري لهذين الشخصين أن تسيطر عليهما حالة من الاستقرار والطمأنينة لا الهشاشة والعبور.

كنت راقدا تحت فتاة غريبة الأطوار طويلة الشعر عجيبة العينين، فتاة كنت أعالجها باستمرار دون مقابل، وقد بدأت هذه الحالة في إحدى الجلسات النفسية المحتدمة التي انتهت بشكل غريب، حينما وجدت جسدي في حالة التحام مباشر مع جسدها.

نعم، من الممكن للرجل العفيف أن يظل عفيفا لأنه لا يحاول الاقتراب من النساء بأي شكل من الأشكال، لكن ما هو الحل حينما تقترب إحداهن منه؟ ما هو الحل؟

الحل يكمن في أن يظل كما هو، لكنك حينما تضع رجلا مع امرأة في صحراء لا يسكنها أحد سواهما، فإن الوضع يصبح خارج السيطرة!

ألقيت بها بعيدا عني حينما دخلت ممرضتي المساعدة، وقد أخبرتها بأن الجلسة قد انتهت وأنه صار من الضروري أن تعود إلى منزلها، فأخبرتني بأن البرق مخيف والرعد شديد والمطر غزير، وأنه من الضروري أن تنتظر قليلا قبل أن ترحل.

لم تغادر الغرفة وظلت ماكثة لفترة طويلة، وعندما همت بالرحيل، تسللت دقات بابي إلى أذني، فوجدت مساعدتي تخبرني بأن هناك رجلا غريبا قد حل ضيفا على منطقتي.

-2-

اتخذ الأمر مني لحظات حتى شعرت بالطمأنينة تجاه من حل ضيفا على بيئتي، وقد أحسست بأحاسيس لم أعرفها من قبل و لاحظت ملامحه الشرسة وأخذت أتأملها وأتنقل بينها.

أخبرني بأنه مدرك لألاعيبي وقادر على التعرف عليها مهما حاولت أن أخفيها أو أن أصبغها بصبغة التنكر والتستر، فدهشت لما سمعت وسألته عن هويته مطالبا إياه بأن يفصحها عنها دون مماطلة وأن يذكرها دون تلاعب أو نفاق.

أخبرني بأنه المريض الجديد، وأنه قد حجز موعدا منذ عدة أيام، وأنه في حالة ماسة إلى الجلسات لأن حياته قد أصبحت مهددة بعد أن تسللت الاضطرابات إلى كيانه وبعد أن نالت منه تراكمات الماضي وصراعاته وآثامه.

كانت الفتاة قد رحلت بعد أن أظهر الرجل عدم اهتمام بها، فلم يرحب ولم يبتسم بل وقف أمامها مجهم الوجه غريب الملمح، وهو ما دفعني حينها إلى إخبارها بضرورة الإسراع بالرحيل، بعد أن نال السكون من الأجواء في الخارج.

يجلس معي ليخبرني بالكثير عن أموره الشخصية، يتنقل بين الأفكار بلا هوادة، يوضح لي أن حياته لم تكن سوي صراعات وأمور غريبة لم يفهمها عقله ولم يدركها كيانه، رغم عقليته المزدهرة ورغم ذكائه الذي نسبه إلى نفسه كما هو الحال مع كل إنسان.

أخذ يتأمل رف كتبي، أخذ يتأمل رواية المراهق لدوستويفسكي، كتاب تاريخ الجسد لجون روب وأوليفر هاريس، كتيب الحياة الجنسية لفرويد، كتاب أفكار حول الموت والأزلية لفويرباخ، كتاب قصة الأصل لديفيد كريستيان، كتاب على مقهى الوجودية لسارة بكويل، وغيرها من الكتب والكتيبات. لكنه سرعان ما لاحظ حمالة صدر سوداء قد حشرت بين كتابين، فتسللت الحمرة إلى وجهي وكشفت عن دهشة تساوت مع دهشته.

بلحيته السوداء الكثيفة، وبشاربه الغريب العجيب، نظر إلى كاشفا عن ارتياب وتوتر، وسرعان ما أخبرني بأنه يكره كل ما يخص المرأة،

لقد ولدت في بلدة ريفية صغيرة مفعمة بالمهووسين، لم أكن قادرا على فهم انجذابهم للنساء بهذه الصورة، كانوا يطاردونهن بصورة دائمة، كانوا يرقدون على ضفاف النهر منتظرين خروجهن من الماء عاريات، كما ينتظر الحالم الواهم الكنز الذي لطالما رغب فيه. لقد أجبرتني أمي على الزواج، تزوجت من امرأة لم أفهمها قط، أحسست دائما بأنني أمام كائن غريب عجيب يفتقر إلى قضيب، كنت أشم روائحا عفنة لكنني كنت أحاول دائما أن أتجاهلها، وكنت كثيرا ما أضربها وأسبها بأبشع الألفاظ. لا يمكنني أن أنكر حقيقة وجود الانجذاب الحميمي، لكنه كان يعطل في الكثير من الأحيان، كان هناك ما يفسد التجربة، كانت الأفكار السيئة تلاعبني وكنت كئيبا في معظم الأوقات.

هكذا أخبرني، هكذا أخبرني اللعين، لقد شعرت بصلة بيننا منذ الوهلة الأولي، لقد أحسست بأن هذا الرجل يكمن بداخله

شيء عجيب، شيء قادر علي إحداث خلل في التجربة وبث العجب والغرابة بين طياتها.

تابع الرجل حديثه، وقد أنصت إليه كاشفا عن إعجاب دفين وتوتر غريب ورغبة في المشاركة. أخبرني بأنه قد نظر إلى المرأة دائما على أنها أداة للمتعة الجنسية لا أكثر ولا أقل، وأنها من الممكن أن تمنح بعض الصلاحيات المتعلقة بطهو الطعام وتربية الأبناء دون التطرق إلى المزيد أو التوسع فيما يخص السياقات الأخرى.

أخبرته بأن كلماته تخبرني بأنه يكره النساء لأسباب غير مقنعة، وضحت له أنه من المعروف أن النظر إلى المرأة على أنها أداة جنسية يمثل صورة من صور تحقيرها والتقليل من شأنها، وأن هذه الصورة قد شارك فيها الغرب بقوة عبر الكثير من السياقات التي اقترنت بتعريتها واستخدامها كوسيلة للجذب في الإعلانات وإدراجها بصورة مكثفة في الأفلام الإباحية والحميمية والإكثار من منح التراخيص للمواخير وأماكن الدعارة.

حدثته بأنه يعاني من خلل جسيم، خلل لاحظته بقوة بعد أن أخبرني عن ضربه لزوجته التي وضح لي فيما بعد أنها قد أخبرته بضرورة الرحيل والطلاق.

وضح لي أن الضرب قد بدأ مع ممارسة السادية الجنسية، وأن الأمر قد نشب بسيطا لكنه سرعان ما تطور، وهو ما أدي إلى الوصول إلى أشكال قصوى من العنف والتهور، ومع التعود، وصل الأمر إلى ضرب مبرح معتاد غير مبرر.

أخبرني بأنه يدرك حقيقة أن الرجل الذي ينظر إلى المرأة على أنها أداة جنسية فحسب، يعاني من خلل كبير. وقد أضاف جملة رائعة إلي النقاش حينما وضح لي أن الرجل الذي يعمد إلى العلاقات الجنسية السريعة لا يحترم المرأة، حتى وإن أظهر غير ذلك، بل وربما يكون ممن يحتقرونها بشدة، لأن الرجل الحقيقي هو من يحترم المرأة ويقدر العواطف والمشاعر. فلا يعمد إلى النزوات ولا يسير وفقا للأهواء ووفقا لشهوات عابرة لا تولد سوي الندم والأسي، لا تولد سوي الندم والأسي عند من يمتلكون ضميرا حقيقيا ويرغبون في التقرب إلى الإله.

أخبرته بأن النساء اللاتي يشاركن في مثل هذه العلاقات لا يحترمن أنفسهن ولا يحترمن جنسهن بأي شكل من الأشكال، مما يجعل الجريمة أمرا مشتركا بين الطرفين، فأظهر اتفاقه وإعجابه بكلماتي.

بعد ذلك، بكي بشدة، أخذ يبكي كمن قتل له عزيز. أخذ يظهر تراكمات الماضي وآثامه، أخذ يكشف عن الندم والأسي والصراعات الداخلية التي نالت منه من جراء أفعاله الحمقاء وتصرفاته الغريبة، تلك التصرفات التي اقترنت ببيئته، وطلب منه تعديلها وتحسينها والعمل على تطويرها، لكنه فشل في الوصول إلى ما وجب الوصول إليه.

حاولت إخماد نيران النقاش وإسكان أفكار الماضي وإهماد أثر دموع عجزت عن حل مواقف قد انتهت وترسبت بقاياها، فجلبت كتاب تاريخ الجسد، وأخذت أقرأ بعضا من كلماته بصوت عال، فأنصت إلى كاشفا عن رغبة في التعرف والتنقل بين الأفكار المتنوعة.

إنه كتاب يتحدث عن الكثير من الأفكار، يخبرنا بأن المجتمع الأثيني القديم كان يمارس كرها فطريا تجاه المرأة وكان يعاملها على أنها أقل فكريا وثقافيا من الرجل، يوضح لنا العلاقة بين الجسد والروح، ويحدثنا بأن اضطراب هذه العلاقة قد يولد الكثير من التصرفات الغريبة، وأنه قادر علي إحداث تغيرات فكرية أو دينية أو عقائدية بصورة لا يمكن تخيلها، خاصة إذا كان التنافر سيد الموقف وكان عدم التناغم بمثابة النغمة المهيمنة على الفرد.

يخبرني الميسوجيني اللعين الذي أشاركه بعضا من ميسوجينيته، بأنه يري أن الاضطراب الفكري الذي يلحق بالبعض فيما يخص الدين، ينم عن حقيقة أن من اضطربوا قد طردوا من دائرة الرحمة وقد غضب عليهم، وهو ما يمثل أمرا حزينا بكل تأكيد.

يوضح لي أن الكثير من الدراسات الغربية أثبتت أن الأشخاص المتدينين يعيشون حياة أفضل ويشعرون بالطمأنينة بشكل أكبر ممن لا ينتمون إلى دين وممن يسيرون بين رحاب الدين دون تطبيق فعلي لأي ممارسات تتصل به.

يخبرني بأن الإنسان ذا الخلفية الدينية ينسب كل شيء يحدث إليه إلى الدين ويربطه بالإله وتدابيره ورحمته، وهو ما يلهمه الصبر والسلوان ويساعده على التجاوز والمرور بشكل كبير، ويوضح لي أن المؤمن يدرك حقيقة أنه لا مناص من العودة إلى الإله، ويعلم جيدا حجم رحمته ورأفته، ولهذا يتجاوز الكثير من الصعاب بصورة مختلفة إذا ما قورن وضعه بوضع غير المؤمن.

أوضح له أنني متفق معه، أخبره بأن القدر يتحكم في المؤمن وغير المؤمن وأن الفارق يكمن في اعتراف المؤمن وعدم اعتراف غير المؤمن، لكنني سرعان ما أؤكد له حقيقة أن الفارق الأكبر يكمن في درجة الطمأنينة وفي المصير، ذلك المصير الطيب الذي أعد لمن هو طيب وثابت وحكيم.

نتحدث عن الجسد والروح في إسهاب وإطالة، نتنقل بين أفكار الكتاب بسرعة شديدة، وأخبره بأنه من الخطأ اختزال الفكر المتعلق بالجسد في الإطار الطبي واللاهوتي فقط وأنه من الضروري التطرق إلى السياقات الأخرى.

نتحدث عن فاوست وصفقته مع الشيطان، تلك الصفقة الأسطورية التي تلخصت في الحصول على المعرفة والملذات الجسدية مقابل التخلي عن الروح.

أوضح له أن المعرفة محدودة مهما أظهرت التجربة غير ذلك، وأخبره بأن اللذة لا تدرك إلا بعد فاصل وأن العمد إليها باستمرار أو بالاعتماد على مؤثرات دخيلة غير مألوفة، يفقدها المعنى ويجرد صاحبها من الإحساس بل من الممكن أن يحدث خللا كبيرا في نظام المكافأة المتعلق بالمخ، مما يؤثر على الدوبامين ويؤدي بالفرد إلى حالة واضحة من الأنهيدونيا، ذلك العرض الذي قد يصاحب الكثير من الحالات المرضية والنفسية.

أخبره بأن الشخص الذي يعمد إلى ممارسة العادة السرية باستمرار، قد يفقد المتعة مع الوقت، وأنه من الممكن ألا يشعر بالحميمية مع شريكته بصورة سليمة، وهو ما يؤدي إلى فشل الكثير من العلاقات الزوجية خاصة مع انتشار الإباحية

المفرطة والتجدد الدائم ورفع سقف التوقعات دون واقعية أو اهتمام بالحقيقة.

يخبرني بأنه لا يبالي بكل هذا وبأنه لا يرغب في ممارسة الحميمية مع أي امرأة في الوقت الحالي بل وفي المستقبل، فسرعان ما أخبره عن إحساسي بأنه يعاني من جينوفوبيا، فتنال منه عصبية شديدة ويخبرني بأنه يكره النساء وبأن الأمر لا يتعلق بخوف أو شيء من هذا القبيل بأي شكل من الأشكال.

أوضح له إحساسي بوجود تناقضات عميقة في شخصيته، أخبره بأنه يعاني من ازدواجية وتلخبط وبأن كرهه لا يمثل نغمة ثابتة لكنها نغمة متذبذبة متغيرة مزاجية، لأنه كثيرا ما يرصد الحقيقة ويدرك الإدراك بصورة موضوعية ومنطقية دون تعميم أو قذف غير مبرر.

يظهر حالة من اللامبالاة ويخبرني بأنه يشعر بأن هناك الكثير من النقاط المشتركة بيننا، فأتراجع إلى الوراء كاشفا عن خوف وإحساسات غريبة.

تدخل الممرضة إلى الغرفة، يهاجمها الميسوجيني اللعين، يهاجمها بعنف شديد ممسكا بسوط غريب طويل يترك آثارا حادة على جسدها بأكمله، فتظهر علامات حمراء بامتداد لحمها مسببة حالة شديدة من الصراخ والبكاء، مما يدفعني إلى الإسراع إليها، لأجردها مما ينبغي أن تجرد منه، ولأحس بأن الخلل قد تسلل إلى التجربة فقدم إلينا شخصيتين سيكوباتيتين تمثل إحداهما شخصية تدعي معالجة من يحتاجون العلاج.

وها هي النساء تهاجمنا، تهاجمنا بقوة كاشفات عن رغبة في الثأر والانتقام، فقد امتلأت الغرفة بالكثيرات منهن، وقد طالبن بضرورة القصاص.

أجد نفسي ممددا فوق أريكتي، وقد استيقظت لتوي من حلم مريب، وها هي مساعدتي تلج غرفتي لتخبرني بأن الرجل الغريب قد غادر منذ ساعتين بينما كنت غافلا ومنغمسا في التجول بين أرجاء جزيرة نومي.

-3-

الجيل الجديد من الرجال يميل إلى النساء الجامحات الشرسات اللاتي ينتهجن النهج الأوروبي الذي يعرض على الشاشات ويعملن على تطوير أساليب الإثارة، فالرجل يريد امرأة تمثل الزوجة والعشيقة في نفس الوقت، امرأة تجمع بين الجموح والبراءة، لكن الرجل الشرقي التقليدي يريدها أن تظهر البراءة في البدايات وأن تمثل الدور جيدا على أن تظهر الجموح فيما بعد، معتقدا أنه من الممكن الوصول إلى الجموح في ظرف لحظات دون تدرج. وإن أظهرت الجموح في البدايات بدلا من البراءة، فإنها من الممكن أن تتهم بالكثير من الأمور، وفي نفس الوقت من المتاح ألا تتعرض لذلك، وهو ما يتصل بشخصية الرجل في حقيقة الأمر وعقليته ومدي تمسكه بها ودرجة إيمانه بالمساواة وحجم اهتمامه بالحاضر، ويتصل أيضا بالمساحة التي تمنحه الفتاة إياها.

كنت أتنقل بين هذه الكلمات التي كتبها مراهق في إحدى المجلات، كنت أتنقل بينها بينما كانت زوجتي تجلس عن يميني محاولة تهدئة ابنتنا الصغيرة التي كان صراخها بمثابة البيئة المكونة من عنصري الإرهاق والسعادة.

انتقلت إلى مقالة تناولت موضوعا غير تقليدي، حيث تطرقت إلى حقيقة أن المرأة مزودة بأساليب دفاعية تعمل على وضع حدود للرجل في البدايات، فلا تكشف عن جسدها بشكل كامل مرة واحدة لكنها تحتاج إلى الارتياح والتدرج، وقد تتمتع بجرأة شديدة على التعري دون خجل، وهو ما يتصل بالتربية المتعلقة بالمجتمعات المتحررة في الكثير من الحالات، لكن الأمر لا يغيب عن المجتمعات المحافظة في نفس الوقت، إلا إنه من

المعروف أن فتيات البيئة المتحررة أكثر قدرة علي التنقل بين فنون الإغراء وأشكال التعبير العاطفي والحميمي، لأنهن قد دربن علي ذلك منذ صغرهن في العلن لا في الخفاء.

تصفني زوجتي بالمعتوه، تخبرني بأن أهتم بقراءة ما يفيد وأن أتخلص من هذا الهراء، فأخبرها بأن الأمر شيق ومقدم بصورة سريعة وملخصة، وهو ما يمثل المتعة بالنسبة إلي ويعمل على بث اللذة في الأرجاء.

تبتسم الجميلة، تغادر الطفلة، تتقدم لتقف أمامي، تتخلص مما يجب التخلص منه، تمنحني حضنا دافئا، لكنني سرعان ما أقذفها بعيدا عني، أدخل غرفة النوم، أعود حاملا سوطا غريبا، وأبدأ في إظهار سادية مريبة، فتنزل الدموع من عينيها، فأحضنها وأبكي، أبكي بشدة، أبكي بشدة من جراء مشاعر متضاربة وسلوكيات لا أفهمها، رغم غزارة علمي!

-4-

في يوم غريب عجيب، كنت جالسا بمكان عملي محاو لا أن أستريح، كنت أحاول أن أستريح من كل شيء، من هذه الحياة، من هذا الاضطراب، من الماضي، من الحاضر، من المستقبل، من الهرم والصراع، من التقبل والتغاضي، من التجاهل بهدف المرور، من التجاوز بهدف الاستمرار.

وإذ بغتة يلج مكاننا رجل غريب، رجل ولج غرفتي دون أن يحصل على إذن مساعدتي، وقد اقترب مني كاشفا عن ابتهاج، كان يضحك باستمرار، كانت الابتسامة لا تفارق وجهه، وكانت الضحكات تتعالي دون توقف كاشفة عن حيوية ونشاط.

وقد سألته عن اسمه، فأخبرني في طيبة بأن أناديه بعربيد الساحل، فدهشت وتراجعت إلى الوراء بعد أن تسللت الضحكات إلى الأجواء. لم أتمكن من إحجام نفسي عما تسلل إليها، لم أتمكن من التوقف عن الضحك الدؤوب، وقد شعرت وقتها بأنني كنت جالسا مع مجنون.

كانت عضلاته واضحة وكبيرة، كانت ملامحه جامحة ومثيرة، وكان أنفه أشبه بأنف أرنب جميل، وقد جلس معي متحدثا دون توقف متنقلا دون سكون محاو لا أن يصل إلى كل ما يبعده عن صراعات نفسه وتراكماتها.

أوقفته بغتة، حاولت أن أمنحه بعض الهدوء، وقد أخبرته بأنه لا يوجد إنسان سليم علي المستوي النفسي في هذه الدنيا، فكل نفس مفعمة بصراعات عديدة، ومن وثق بصحته الذهنية

والنفسية بشكل كامل، ساذج أو مغيب أو مطمئن لنفسه، لا أكثر ولا أقل.

أخبرته بأن كارل يونج قد صرح في إحدى المرات بأنه إذا قابل رجلا سليم العقل، وجب عليه معالجته في أسرع وقت، وقد تابعت كلماتي موضحا حقيقة أن الخلل النفسي مقبول بدرجات، لكنه إذا تخطى الإطار الطبيعي تحول إلى مرض نفسي أو صراع مميت، وهو ما يختلف عن الإطار الذي أتحدث عنه.

وضحت له أن الخلل موجود لكن ضمن إطار مقبول، وهو ما يمثل المنطق والقبول، أما الأمراض النفسية الشديدة، فإنها تتصل بشأن آخر وتحتاج إلى جلسات مكثفة وأدوية وأمور أخري مرهقة.

لقد ولدت في بيئة مفعمة بالعربدة والمجون، كنا نعربد في جماعات، كنا نتنقل بين النساء والخمور، وقد فرقنا أبي عن بعضنا البعض، فعشنا فرادي بعد أن كنا خمسة إخوة وبعد أن كنا مترابطين وسعداء. وقد اتصلت نشاطاتي بالساحل، كنت أقضي الصيف هناك بأكمله، كنت أستمتع بتلك اللحظات بعد الانتهاء من الدراسات التي لم أكن قادرا على تقبلها أو التفاعل معها. كنت أتعامل مع المرأة على أنها أداة جنسية، كنت أجلس مع الفتيات والمعيدات في الكلية وكنا نضحك باستمرار، لكن ما غاب عنهن تمثل في حقيقة نظرتي إليهن، فقد كانت ضحكاتي متصلة بملاعبات دفينة ودوبامين نشط وانتصابات غريبة ومحاولات لجذب الانتباه، تلك المحاولات المتصلة بإرضاء الغرور الذكوري الدفين.

هكذا أخبرني ذلك الرجل العجيب، أخبرني بذلك كاشفا عن تراكمات نفسية اتصلت بتشييد روابط حميمية عشوائية أرهقته على مدار السنين وقتلت روحانيته وألقت به في أتون الجحيم.

تابع كلماته موضحا حقيقة أنه قادر علي تذكر الكثير من المشاهد التي نمت عن احتقار الرجال في مجتمعنا للنساء، فأخبرني بأنه قد رحب في إحدى المرات بزميلة من زميلات الدراسة، زميلة تعرف إليها بمساعدة صديقه الذي كان بمثابة صديقها العزيز وأخيها الكبير، لكن الغريب في الأمر تمثل في حقيقة أنها بمجرد أن غادرت الساحة يومها، أخبره الصديق المشترك عن رغبته الدائمة في مضاجعتها، وقد علق بشكل غريب علي جسدها مظهرا السخرية والتنمر، رغم الزمالة والصداقة.

أخبرته بأن هناك مشكلة كبيرة في مجتمعنا، مشكلة تتعلق بالبيئة قبل كل شيء، نعم بالبيئة، فالتنشئة تؤثر على السلوك الدفين الذي يرغب في البزوغ حتى ولو أظهر الفرد سلوكا مختلفا في البدايات، لأن الدواخل لا مناص من أن تظهر إلى السطح في نهاية المطاف، تلك الدواخل التي تعجز عن التنكر لفترة طويلة، خاصة بعد أن يمر العمر وبعد أن تصبح التجربة البشرية أكثر تعقيدا.

وضحت له أنه من الممكن تقبل سلوكيات المراهقين والمراهقات لفترة ما، لكنه من المعروف أن المراهق نفسه ستشمله بعد عدة سنوات حالة من الرغبة في التوقف عن جموحه اللفظي والفعلي، لأنه سيشعر بأن سلوكياته قد تؤثر على حياته وعلى مستقبله، وهو ما تتعرض إليه الفتاة أيضا.

نبهت إلى حقيقة أن ما يراوده في أيامه هذه، يتمثل في استيقاظ ضميره وإحساسه بازدواجية غريبة، وهو ما أدي إلى إلحاقه ببيئة غريبة جمعت بين الحب والكره، لكنها رغم ذلك مبنية على الكره الدفين والتعامل المادي البعيد عن الحس والبعيد عن العواطف والمشاعر العميقة، لأن البحث عن اللذة باستمرار يولد في نهاية المطاف حالة من الإحساس باللامبالاة واضطرابا في العاطفة وعدم الشعور بما يجب الشعور به.

نظر إلى كاشفا عن تعجب، وقد ضحك دون توقف، وسرعان ما أخبرني عن اعتقاده بضيق أفقي، لأنه قد رأي أنني قد ربطت صراعاته بالجنس والعاطفة فقط، فأخبرته بأن الإنسان يتعرض إلى الكثير من المشاكل عبر حياته ويواجه الكثير من الصعاب، لكن مشكلته الأكبر تكمن في عواطفه، لأنها بمثابة الواجهة التي يعمد إليها بينما يتحرك، وقد تابعت كلماتي موضحا له حقيقة أن الحميمية بمثابة التعبير الأقصى عن العواطف لكنها تحتاج إلى تدرج، تدرج إذا لم يبلغ بشكل سليم، نال من المرء التوتر والاضطراب.

أخبرته بأن كلماتي تتصل بهذا الأمر لأنه يقترب من مجال عملي وهو ما يجعلني مهتما بالتخصص، وفي نفس الوقت، لا يمكنني أن أنكر حقيقة أن التجربة تمتلك الكثير من النقاط الأخرى القادرة على إقحام المرء في الكثير من الصراعات والاضطرابات، وهو ما يمكن التعرف عليه بسهولة ويسر.

اللعين، ذلك اللعين الذي جمع بين العربدة والميسوجينية، ذلك اللعين الذي أخذ يحدثني عن الكثير من الأمور غير المترابطة، ها هو يقف أمامي كاشفا عن أيره محاولا أن يستفزني، لكنه لا

يعرفني بما فيه الكفاية على ما يبدو، ولهذا فعلت ما وجب فعله، فسرعان ما انتصبت وسرعان ما بترت ما وجب بتره!

-5-

يبحث الإنسان عن الكنز طوال حياته، يعتقد أنه سيصل إليه، يعتقد أنه سيصل إلي الكنز والشهرة، وفي نفس الوقت يبحث عن العاطفة والجنس، لكنه إن نجح في الاستقرار والوصول إلي الاتزان العاطفي والنفسي والجنسي، يستمر في البحث عن المال، يستمر في البحث عن المال، نعم، يستمر في البحث عن المال، فالمال يمثل عقدة نفسية عند الكثيرين، فالكثيرون ينظرون إلي الأغنياء بعين الحسد والحقد، يرغبون في أن يعيشوا حيواتهم، ويصبرون أنفسهم بالكثير من العبارات التي تخبرهم بأن هناك ما يخفي وراء كل هذ الثراء، بأن هناك مشاكلا نفسية تحوطهم، ولكن المشاكل النفسية والصراعات تلاحق الفقراء أيضا، لكنها الرغبة في إرضاء العقل لا أكثر ولا أقل، تلك الرغبة التي تحاول أن تقلل من ضجيج عقل لا يفهم توزيع الثروات، ولكن لماذا علينا أن نفهم توزيع الثروات إذا كان العدل محققا في نهاية المطاف؟ نعم، فالعدل محقق في نهاية المطاف، لأن التجربة داخلية قبل أن تكون خارجية، ولأن تطوير نظام الرضا يحتاج إلى وقت وإلى صبر حتى يفعل بشكل كامل في النهاية، تلك النهاية التي ستشمل الأغنياء كما ستشمل الفقراء. الكثير من رجال الأعمال الأغنياء في العالم الثالث، يعيشون جنبا إلى جنب مع غسيل الأموال، الكثيرون من أغنياء الطبقة المتوسطة يحاولون الوصول إلى حالة الإنفاق دون حساب، وهناك آخرون من الفقراء ينغمسون في حالة من التخدير والهروب غير المنمق، ذلك الهروب الذي يتمثل في التمتع الأهوج العشوائي والبعيد كل البعد عن الأناقة التي تظهرها بيئة التمتع التي ينغمس فيها الأغنياء.

كنت أتنقل بين كلمات هذه المقالة دون توقف، إنها مقالة غريبة، نعم، مقالة غريبة تتحدث دون انسيابية وتتنقل بين الأفكار دون هوادة، لكنها رغم ذلك ترصد الكثير من الحقائق وتعبر عن حقيقة أنه لا مناص من أن يتحقق العدل في نهاية المطاف، ذلك العدل الذي لا مفر من تحقيقه عبر الحساب وعبر التدرج وعبر الانتقال إلى عالم الخلاص، لأن العدل محقق في الآخرة بشكل كامل، أما الدنيا، فإنها دار ابتلاء وصراع قبل كل شيء، رغم وجود الكثير من اللحظات الخلابة واللذيذة والمفعمة بالحماس والنشاط.

-6-

لقد زارني الميسوجيني اللعين مجددا، جلس معي ليحدثني عن الكثير من الأمور دون توقف، كان يتحدث كالمجنون، كان يتحدث بينما كانت فتاتي التي كنت أخون زوجتي معها جالسة معنا، نعم، فقد كانت جالسة معنا، لكنه لم يكن مهتما بأمرها، ولم يكن ينظر إليها إلا قليلا.

نظر إليها بغتة، نظر إليها وقد أخبرها بحقيقة أنه يعلم بتصرفاتها كما يعلم بتصرفات كل النساء، تابع كلماته موضحا حقيقة أن سذاجة الرجال تمنعهم من الوصول إلي المنطق الذي يخبرنا بأن المرأة تتمتع بشهوة قوية كما يتمتع الرجل بشهوة شديدة، لكنه وضح بعد ذلك أن ما يعيق المرأة غير السوية من إظهار نشاط مشابه أو واسع كنشاط الرجل غير السوي يكمن في طبيعتها الجسدية، تلك الطبيعة التي تعجز عن المواصلة والمتابعة، لكنه من المعروف أن طبيعة الرجل ستعيقه عن متابعة نشاطه حينما يقترب أجله أو حينما يهرم، وهو ما يمثل المعروف!

ضحكت الفتاة بشدة وأخبرته بأنها سوية وأنها تخاف الإله، وقد تعجبت من هذه الأفكار ونالت منها موجة حزن فجائية نجمت عن ازدواجيتها الخفية، لكنها سرعان ما عادت إلى بيئتنا المريبة وصفعت الرجل على وجهه معبرة عن الدهشة والحيرة، فقام اللعين وصفعها كمجنون، فصفعته أنا الآخر متخليا عن سكوني، سكوني الذي غادرني بمجرد أن عمدت إلى فعلي المرهون بفعل رجل قد أخطأت حينما رحبت به في بيئتي منذ البداية.

تسلل العفو إلى بيئتنا وسيطر التسامح على جلستنا، وبينما كانت الفتاة تتحرك بخفة، كشفت عن فخذيها، فوصفها الرجل بالمثيرة، فضحكت كاشفة عن حيرة، حيرة اقترنت بعواطفها تجاه رجل عجزت عن تحديد موقفه بصورة جلية.

-7-

عندما تحدث الإنسان عن الموت، يكرهك، يخبرك بأنك مريض، يخبرك بأن هناك مشاكلا نفسية تسيطر عليك، فهو محب للعالم السفلي، محب للصراع البشري رغم قسوته، لكن مشكلته تكمن في عدم تطويره لنظام الاستعداد من أجل الرحيل، نعم، فهناك طريقة يعمد إليها الروحانيون ويطورونها على مدار السنين من أجل تحقيق التآلف مع فكرة الرحيل، فيعيشون حيواتهم سعداء ويكونون في نفس الوقت على استعداد من أجل الرحيل دون حزن أو رغبة في إنجاز المزيد. إن كتاب الله العظيم يحدثنا كثيرا عن الموت والرحيل والآخرة، ويمنح الأولوية للعالم الآخر، لكنه رغم ذلك ينظم لنا أمور حياتنا، ينظم لنا أمور حياتنا كي نعيش في نظام لعلنا نرحل دون اضطراب، ورغم ذلك من المعروف أن النصوص تخبرنا بأن النظام المثالي غير موجود، فالأمر بأكمله يتصل بالسعي والاقتراب، نعم، الاقتراب من الصواب مع الاستمتاع الدنيوي دون تجاهل النهاية التي لا مناص منها والتي تمثل الخلاص والجمال، لأن الله يحبنا ويحب من يسعى في طريقه، وهو حب مجازي يتمثل بصورة حقيقية في رضاه عنا والتسهيل من ولوج الجنة. فخوفنا بمثابة الاحترام والتقديس، لكنه ليس برعب أو شيء من هذا القبيل، لأن رحمة الله واسعة وفضله عظيم.

كنت أتنقل بين هذه الكلمات سعيدا بما أقرأ، وقد ولجت ممرضتي الغرفة فجأة وأخبرتني بأن الميسوجيني اللعين قد حل من جديد ضيفا على بيئتي، فأخبرتها بأنه لم يعد ضيفا، فقد أصبح صاحب مكان بكل تأكيد.

ها هو يجلس معي متأملا وجهي، يحاول أن يتطرق إلى الكثير من الموضوعات ويسعى نحو سرد كل ما يضايقه بينما أستمع إليه محاولا الوصول معه إلى حل فيما يخص مشاكله النفسية وصراعاته الدفينة.

تنهدت، استجمعت قواي وإرادتي، أذعنت لعواطفي المضطربة وأفكاري المتضاربة، وقد أخبرته بتعجبي من أمره، وضحت له أنه من الضروري أن يشغل نفسه بوظيفة أو عمل خيري أو شيء مثمر من هذا القبيل، فضحك بشدة وسرعان ما أخبرني عن تعجبه من كلماته، فسألته إن كان متعجبا من كلماته أم من كلماتي، فصحح ما نطق به لسانه في سرعة تامة وأخبرني بأنه يتحدث عن تعجبه من كلماتي، كلماتي أنا، حيث أنه قد رأي أن حالته النفسية لم تكن مناسبة لمثل هذه الأمور، وهو ما دفعني إلى الصمت، إلى الإسراع بالصمت.

-8-

لماذا تثق في قدراتك الذهنية بهذه الصورة؟ لماذا تعتقد بأنك شديد التقوى؟ لماذا تري أن كل من حولك لا يمثلون سوي الأوغاد بينما تري في نفس الوقت أنك لست بوغد؟ هل تعتقد أنك مميز؟ هل تعتقد أن القيمة تختص بك وحدك؟ هل تري أن القدر قد منحك ما لم يمنحه لغيرك؟ هل تحاول أن تظهر نبوغا باستمرار في مجال ما؟ هل تحمل دكتوراه أو تدرس الماجستير وتسير متفاخرا بين الناس؟ لماذا تري أن كل من حولك لا يهتمون سوي بأنفسهم بينما أنت تهتم بهم؟ هل تعتقد أنك مفعم بالخير بينما هم بمثابة الأشرار؟ أرجوك، راجع نفسك جيدا، انظر إلي البشر كمجموعة، حاول أن تدرك حقيقة أن الوهم البشري يسيطر على الجميع، نعم، ذلك الوهم المتصل بالذاتية ومحاولة إظهار القيمة باستمرار، فكل محاولات البشر وتحركاتهم تتصل بإظهار القيمة والبحث الوهمي عن المتعة التي لا مناص من أن تفقد بغتة، بعد أن يحصل المرء على نصيبه المقدر. لا يمكنني أن أنكر حقيقة أن هناك أخيارا وأشرارا، لا يمكنني أن أنكر حقيقة أنه من الممكن أن يدرك المرء أنه طيب إذا كان بعيدا عن القتل والسرقة والكذب والخبث والغرور والعربدة والحسد والحقد والتنمر وإيذاء الآخرين واستغلال البشر والتعالي والكبر وعدم الرضا، والشر بأشكاله المختلفة، لكنني رغم ذلك على يقين بأنه من الضروري للمرء أن ينجو بنفسه في هذه الأيام وأن يراجعها بإخلاص كل فترة قصيرة لا كل ثانية، لعله لا يطور سلوكا مرتبطا بوسواس أو تأنيب ضمير قاتل أو شيء من هذا القبيل.

ها هي فتاتي ترقص دون توقف بعد أن انتهينا من قراءة هذه المقالة، ترقص بتنورتها القصيرة وقميصها الأحمر الغريب.

ترقص بداخل غرفتي بينما تجلس الممرضة في الخارج، وها هي تلج الغرفة لتجد المهزلة مجسدة أمام عينيها، ها هي ترصد مشهدا غريبا كانت تتخيله باستمرار بينما كانت تجلس في الخارج، ولكن كيف حصلت على هذه الجرأة؟ كيف ولجت الغرفة دون استئذان رغم تأكيدي على ضرورة عدم الولوج إذا كانت فتاتي بالداخل؟

إنه الفضول البشري، ذلك الفضول الذي قد يصل إلى درجات غريبة، درجات تجعل الإنسان يتحرك دون تفكير، دون اهتمام بالعواقب، دون إدراك للبيئة، خاصة إذا كان الأمر غرائزيا، خاصة إذا كان الأمر فطريا، خاصة إذا كان الأمر متصلا بكشف الستار أو درء الحجاب أو تصعيد المواقف!

ها هو السوط يلاعبني، ها هو ينادي يدي، فتتحرك يدي لتمسك به، يد ممسكة بسوط غريب، تضرب الفتاتين في عناد وتصميم، تضرب الممرضة والمريضة، تضرب كل نساء العالم، تضرب كل اللعينات اللاتي حطمن قلوب الرجال، نعم، تضرب كل العاهرات اللاتي قتلن الروحانية التي كانت موجودة سابقا في قلوب الشبان الأتقياء.

وبينما كنت منخرطا في بيئتي الغريبة، وبينما كانت الصرخات تتعالى دون توقف، ظهر مريضي المفضل بغتة على الساحة وقد شاركني سلوكياتي كاشفا عن ابتهاج، وساعدني في الوصول إلى ما وجب الوصول إليه!

-9-

يجلس الميسوجيني اللعين معي، يجلس ليشاطرني أفكاري، يجلس ليخبرني عن الكثير من الأمور الغريبة والطريفة.

فتاة تدخل الحمام، تجلس على مقعده، تجلس على مقعده بعد أن تتخلص من ردائها الداخلي، تقف أمام المرآة، تتأمل نفسها، تتأمل جسدها، تتأمل كل ما يمكن تأمله، تراودها الكثير من الأفكار، تلاعبها غريزتها، تأتيها بوادر شيطانية، وتتدفق إلى ذهنها الكثير من الأمور الغريبة والعجيبة.

يتسلل اللعين إلى الحمام بعد أن يغادرني في سرعة تامة، يقف أمامها ويخبرها بأنه قادر على التعرف إلى كل ما يدور بذهنها، فتفزع الفتاة، لكن سبب فزعها يكمن في حقيقة وجوده الفجائي لا كلماته الغريبة التي صمم على إقحامها دون استئذان أو استعداد.

أسرع إلى الحمام، أسرع إليه ومعي ممرضتي ذات الألاعيب العديدة، أخبره بضرورة أن يغادر المكان وألا يفعل ذلك مجددا بأي شكل من الأشكال، لأن هذه الحركات تضر سمعتي وتؤثر على علاقاتي بمن يزورونني.

يهرب اللعين، يهرب كاشفا عن ابتسامة خبيثة وضحكة غريبة، فأصفه بالزنديق، فيصفني بالمثل، لكن الحرب بيننا كانت سجالا، فتعادلت القوي ولم نصل إلي غالب ولا مغلوب!

يعود من جديد في اليوم التالي، يجلس معي، نبدأ في التحدث عن الكثير من الأمور، نتحدث دون توقف، نتنقل دون ركود،

تلاعبنا الأفكار، وأحاول أن أحل مشاكله التي لا تختلف كثيرا عن مشاكلي، فكل ما في الأمر يكمن في حقيقة أنه يحاول أن يعلنها صراحة، يحاول أن يعلن عن صراعاته دون خجل أو مبالاة!

-10-

يخبرني الرجل بأن الفرزدق كان زير نساء، لكن من الصعب أن نجد غزلا متعمقا في شعره، بينما كان جرير عفيفا تقيا وكان معروفا بالغزل وبالبراعة في التنقل بين كلمات العشق والحب.

أخبره بأنه لا يصح أن يتحدث عن الناس بهذه الطريقة، أتابع كلماتي موضحا له أنني أشك في كلماته، أشك في صحتها، أشك في الكثير من الأمور، فيخبرني بأن الشك مرض، مرض يجب علاجه في أسرع وقت ممكن.

يتسلل الصمت إلى الموقف للحظات، نتابع بعد ذلك حديثنا الغريب ونتنقل بين الأفكار العشوائية والعجيبة، فيخبرني بأن تجارة الآثار والمخدرات في ازدهار، يوضح لي أن المجتمع المدني الجديد يتضمن الكثير من اللصوص ذوي الملابس الأنيقة والساعات الثمينة والوجوه البشوشة، فأخبره بأنني أتفق معه، وأوضح له بأن كلماته تأخذنا بعيدا عن السياق.

أخبره بأن الإنسان يتعود على الأمور فيتجاهل حقيقتها وحقيقة كونها حراما أو حلالا، أوضح له أن التعود مشكلة كبيرة، نعم، فالتعود مشكلة كبيرة حينما يتعلق بالأمور الخاطئة، لأن الأمر حينها يصبح معقدا ويصبح من الصعب الانتقال إلى السياق السليم.

أحدثه بأن الإنسان قد يرتكب الجرم ويذكر الإله بعده، أتابع كلماتي موضحا له أن الإنسان قد يتلذذ بالحرام ويتحدث عن الحلال والروحانية في الوقت نفسه، لأن كيمياء الدماغ تكون في نشوة، ومع النشوة قد تتسلل الكثير من الكلمات التي تعبر

عن القوة والإعجاب والتسامي، وهو ما يؤدي إلى التخبط والاختلاط والعجب!

نفتح كتابا من الكتب المرصوصة على الرف، إنه كتاب يتحدث عن مقتل فيرساتشي في الخمسين من عمره، نعم، ذلك المصمم الشهير الذي قتل بالرصاص في يوليو 1997 بداخل قصره في ميامي بيتش علي يد كوناذان الذي انتحر بنفس البندقية التي قتل بها الرجل الذي كان مهووسا به.

ننتقل بعد ذلك إلى كتاب يتحدث عن كريستيان ديور، ذلك المصمم المعروف الذي مات في عام 1957 إثر أزمة قلبية، نغادر الكتاب في سرعة تامة ونتطرق إلى كتاب عظيم يتحدث عن تاريخ الفن ويدعي The Art Museum، إنها النسخة القديمة الضخمة لا الجديدة المصغرة، إنها نسخة عظيمة من إصدار دار نشر Phaidon، لكن المريض يتعجب من وجود هذه الكتب الفنية عندي، فأخبره بأنني أحب الفن والفنانين والفنانات وكل ما يتعلق بهذا السياق.

ننهي جولتنا الثقافية بكتيب لفرويد يدعي "The Unconscious"، كتاب صغير يتحدث عن الكثير من الأمور في عجالة، يتطرق إلى الexhibitionism والVoyeurism والSadism والMasochism، يتنقل بين الكثير من النقاط التي تخص اللاوعي، ويلخص العديد من المشاكل والسياقات.

يخبرني الميسوجيني بأن كلمة "كتيب" تستخدم بمعني دليل، فأخبره بأنه من الممكن استخدامها للتعبير عن الكتب

الصغيرة وبأن الكثير من المفكرين يستخدمون الكلمة للتعبير عن ذلك دون تردد، فيصمت الرجل ويكشف عن حزن دفين، حيث يري أن الجلسات تأخذنا بعيدا عن السياق، وأن مشاكله في زيادة، وأن الحلول مطلوبة، لأن الانفجار قد صار وشيكا.

يخبرني بأن كرهه تجاه النساء يمنعه من التعرف إلى فتاة جديدة، فتاة تمنحه الأنس الذي يحتاجه، ويتابع كلماته موضحا حقيقة أنه قد فقد المعني، فأخبره بأن المعني موجود عبر الاعتماد على الشغف، وأوضح له أن التجربة البشرية بأكملها تتعلق بتوجيه الشغف ناحية سياق محدد والعمل على التطور والتقدم إلى الأمام بداخل هذا السياق.

إنها خدعة، نعم، الأمر بأكمله خدعة، خدعة ووهم، لكن من الضروري أن تجد لنفسك سياقا تتحرك بداخله مقلدا البشر أجمعين، نعم، الأمر بهذه السهولة، نعم، افعل مثلما يفعلون، ابحث عن سياق محدد، حرك مشاعرك تجاهه، وابذل مجهودا يشغلك عن الأفكار السلبية والكئيبة.

هكذا أخبرته، هكذا أخبرته معبرا عن رغبتي في مساعدته ووصوله إلى التصالح والاستعداد من أجل التقدم إلى الأمام.

شكرني الرجل وأخبرني بأنه قد صار من الضروري أن يبحث عن نفساني آخر، لأنه رأي أنني قد فشلت في حل مشاكله، فسرعان ما شكرته على صراحته وسرعان ما شملتنا بيئة التوديع.

فلا يمكث سوي الأحبة بعد الملاقاة، و لا يكتب الفراق القهري إلا عند ملاقاة الأوغاد!

لكن الترحيب ضرورة في البدايات، والأمور بأكملها تتضح في النهايات!

-11-

النرجسية، حب النفس والأنانية، نعم، ذلك الاضطراب الذي يتصل بالغرور والهوس بالذات والرغبة في الوصول إلى كل ما يرضي رغباتها دون الاهتمام بالآخرين.

إن النرجسية متصلة بأسطورة نركسوس (نرجس)، ذلك الوسيم الذي عشق نفسه وأعجب بجماله حينما رأي وجهه في الماء. وقد تتصل بالفكر المكيافيلي والكثير من الاضطرابات النفسية.

أعتقد أن الإنسان الحكيم السوي هو ذلك الإنسان الذي يصل إلى السعادة حينما تتحقق غاياته، ويصل إليها أيضا حينما تتحقق غايات الآخرين، لكن المشكلة كامنة في السباق الذي أقحم البشر أنفسهم فيه بجهلهم وظلمهم لأنفسهم، فصاروا يتقاتلون على كل شيء، وصارت الدنيا صراعا لا ينتهي، ولكن من الممكن أن يكون الصراع قد كتب عليهم، لأنهم قد نزلوا إلى الدنيا من أجله، والغريب في الأمر يكمن في التساؤل، ذلك التساؤل الذي يتعلق بماهية الصراع وحجم نتائجه، لأنهم علي علم بأنه لن يفضي إلى شيء مثمر داخل الإطار الدنيوي!

إن الأمر كبير، لأن المسألة لا تتصل بنرجسية فرد واحد، فالأجيال الجديدة تتضمن الكثير من النرجسيين، ومع زيادة أعدادهم، سيصبح الأمر معقدا بل وشديد التعقيد، فالمنطقة صارت كالغابة وصار التقاتل والوصول إلى الرغبات أمرا مبهما مفعما بالكثير من السياقات التي ابتعدت عن اللباقة والأناقة والإيثار الذي عرفت به أجيال أخري سابقة!

كنت أتنقل بين كلمات هذه المقالة دون توقف، وقد انتقلت بعد ذلك إلى مقالة أخري تتحدث عن الصراع النفسي والتضارب الفكري.

كانت تتحدث عن حقيقة أن الصراع النفسي قد ينشب مع التطبيق ومع غيابه في نفس الوقت، لأنه من الممكن للأفكار أن تتصارع دون توظيف ومن الممكن أن تتقاتل بعد التوظيف.

فمن الممكن لشخص يرغب في المال أن يفكر في السرقة، وقد تتقاتل الأفكار بداخله دون ممارسة السرقة، وفي هذه الحالة يعد الصراع صراعا ذهنيا تزداد حدته مع الوقت، وفي حالة أخري، قد يسرق الشخص، وقد تزداد حدة الصراع بعد أن يقذفه الضمير بالحجارة كل فترة، وهو ما يمثل صراعا ذهنيا مقترنا بالحالة بعد التطبيق لا قبله.

الغريب في الأمر يكمن في ضرورة البحث عن حل، وإلا استمر الصراع في التعمق دون توقف، فمن يحتاج المال، عليه أن يبحث عن عمل حتى يقتل هذه الأفكار، ومن سرق، عليه أن يدرب نفسه ألا تعمد إلى هذا الفعل مجددا، وإلا استمر الاضطراب في التطور، ومن الضروري أن أشير إلى حقيقة أن الحالة السوية هي الأكثر قدرة على تحقيق الاستقرار النفسي، وهو ما يتصل ببذل المجهود بداخل السياق اللائق مع قتل الفضول والتخلص من الطمع والرغبة في المزيد.

نعم، قتل الفضول ضرورة، قتل الفضول أمر هام للغاية فيما يخص كل سياقات الحياة، فإن قتله المرء، فاز بالكثير، وإن لم ينجح في التخلص من فضوله، نال منه الجشع والتنقل بين

الخطايا والاضطرابات النفسية والذهنية بل والقلبية أيضا، لأن اختلال العواطف وتشتتها أمر لا يمكن تجنبه في هذه الحالة.

فالفضول محبب حينما يتعلق الأمر بالعلم والمعرفة، ومذموم حينما يتعلق بالمال والشهوات والنساء والكثير من الأمور الأخرى التي من الضروري التعامل معها بحذر، لأن النفس تحب الزيادة، والغريب في الأمر أنها تريد أن ترضي كل السياقات، وهو ما يمثل أمرا مستحيلا، لأن الحياة قصيرة والطاقة النفسية محدودة والأمر مفعم بالقيود التي لا حصر لها.

وهو ما يؤكد حقيقة أن كسر القيود بشكل كامل أمر مستحيل تماما، وأن إرضاء النفس كليا وهم وخيال، فإن تركنا لأنفسنا الساحة دون تدريب على الاستغناء والوسطية، رغبت في كل شيء، بل من الممكن أن يصبح القتل على سبيل المثال أمرا عاديا جدا، فالقلب يخاف المرة الأولي، لكنه بعد ذلك يتعود ويستسيغ كل شيء، وهو ما يمثل أمرا خطيرا يجب الحذر منه!

لقد قتلتني الأفكار، نالت مني، بدأت في الإحساس بأن ذهني يحاول أن يأخذني بعيدا عن مشاكلي مع زوجتي، تلك المشاكل التي لم أفصح لكم عنها، فقد جعلتني تلك المرأة أكره النساء بشكل كامل، لا، أنا لا أكره النساء، لا، أنا أحبهن، نعم، أحب المرأة، يبدو أن اللعين الذي رحل بعيدا عن بيئتي قد أثر في شخصيتي ونقل إلى الكثير من الأفكار السلبية فيما يخصهن، نعم، يبدو أن الأمر كذلك، فأنا أحب زوجتي، نعم، أحبها بشدة، نعم، من الممكن التغاضي عن كل المشاكل من أجل الحب والود، نعم، من الممكن الوصول إلى ذلك.

الوصول إلى كل شيء ممكن أيها الإنسان، لكن معظم الأمور ستصل إليها بعد عناء، بل إن معظمها يصل إليه الذهن دون تطبيق، فالحياة وهم كبير لا يسمح لأحد سوي بإرضاء بعض الرغبات، لكن تحقيق الرغبات رغم قلتها أمر جميل، كما أنه من المعروف أن خيرا قليلا مباركا أفضل من خير كثير يرهق الذهن من جراء الاهتمام والتدبير!

فاشكر الإله باستمرار، واجعله شكرا لا يتصل بالدنيا فحسب، وهو ما يؤكد ضرورة أن تكون على استعداد من أجل الرحيل، فعش الدنيا وتقبل الخطأ واسع نحو تصحيحه، لكن لا تتجاهل تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن التوتر لا خلاص منه إلا بالنزوح والوصول إلى حالة من المرونة فيما يخص الجولان بل والاعتزال.

-12-

المتعة الجنسية تتصل بالاحتمالات، فالعري الكامل قد يقتل المتعة، فالأمر أشبه بالدعاية، نعم، الأمر يتصل بطريقة العرض والكشف، أما الكشف الكامل الصريح منذ البداية، فإنه قد يقتل المتعة عند الكثيرين، لأنه يدحض الإثارة بهذه الصورة.

إن متعة الفعل الجنسي تكمن في الاحتماليات، فالمساحة واسعة، والتقيد مرفوض وقت الممارسة، أي أن المباغتة والملاعبة غير المتوقعة بمثابة الأساس، فكلما زادت قدرة المرء على التعامل مع إطار التدرج والمفاجئة، كلما امتدح فيما يخص هذا السياق، لكن الأمر فطري والمبالغة صفة الحوار. فالأمر موجود بداخل الجميع، والمبالغة بمثابة الحيلة البشرية التي تخص كل سياق، فعندما نخرج بهدف تناول الطعام، نتحدث كثيرا عن اللذة والخبرة في التعرف إلي المذاق، رغم أن الأمر في نهاية المطاف لا يمثل سوي سياق فطري تقليدي، لا أكثر ولا أقل، وهو ما يتصل بكل سياق، فمع الوقت، يتعرف كل إنسان علي كل سياق وإطار.

إن المتعة الجنسية سريعة وقصيرة، إنها لا تمنحني ما أريد، كما أنني أنظر إلى المرأة على أنها كائن استغلالي غريب، كائن لا فائدة منه سوي في إطار المضاجعة وطبخ الطعام، لا أكثر ولا أقل.

كان يحدثني بذلك دون توقف، كان يتنقل بين الكلمات بينما كنت جالسا بالعيادة محاولا أن أحل مشاكل الكثيرين ممن تعقدت أمور حيواتهم، لكنه كان غريبا، فأحسست بأن

ميسوجينيا جديدا قد زار منطقتي ليحل محل ضيفي الذي رحل بعيدا عني بعد أن أظهر تبرما وعنادا.

أخبرته بأن يحل علينا في موعد آخر، على أن أفسح له المجال ليتحدث كما يحب وليتنقل بين الأفكار بلا هوادة، فعبر عن شكره وسعادته البالغة، وقد غادر ساحتي كاشفا عن إثارة واستعداد لجلستنا التي تم تحديدها والتأكيد عليها.

في المساء، استيقظت من نومي مفزوعا، وجدت زوجتي منغمسة في نوم عميق، غادرت الفراش واتجهت إلى المطبخ محاولا أن أحصل على بعض الطعام، فتحت الثلاجة فوجدت بها الكثير من الزجاجات التي اعتادت زوجتي شراءها باستمرار.

الوسابي، الترياكي، الكاتشب، الكاتشب الحار، الباربكيو، البلو تشيز، السريراتشا، التشيلي، التباسكو الأحمر، التباسكو الأخضر، الهالبينو، الهابانيرو، التشيبوتلي، الصويا، الجوتشويانج، الرانش، الخردل الحار، الخردل العادي، المايونيز، البيري بيري، الهريسة، اتش بي، الماري روز، الصلصة التوسكانية، الباربكيو الأبيض، وغيرها من الزجاجات، إنها مجنونة حتما، نعم، امرأة مسرفة يجب أن تعاقب، نعم، فقد أفعمت الثلاجة بالكثير من الزجاجات الغريبة وتركتها خاوية من اللحوم والدجاج!

اتصلت بدجاج كنتاكي، ذلك المطعم الذي يبيع لنا قطعة الدجاج الواحدة بعدد وحدات من عملتنا قد تمنح الأميركي، الذي يعتبره شعبيا، وجبة عائلية ضخمة إذا كانت متصلة بعملته، طلبت عددا من القطع وجلست ألتهمها كوحش جائع، وقد دعمتها ببطاطس رائعة وكول سلو مميز، لكن الغريب في الأمر تمثل في استيقاظ زوجتي الفجائي ومشاركتها إياي وجبتي، وقد التهمت قطعتين في عجالة وعادت إلى سريرها في صمت تام!

كنت أشعر أحيانا بأنها وحش غريب، نعم، فعندما تعرف المرأة عن قرب، تكتشف الحقيقة، تخبرك عن الكثير من الأمور، تتحدث عن صراعاتها مع جسدها، تتحدث عن جوعها وتلذذها

بالطعام، تتنقل بين الكثير من التفاصيل العميقة التي تخص حياتها وجسدها وتبرزها وصراعاتها. لكن ما يهم حقا يكمن في درجة وعيك، لأن النضج يتصل بالتقبل، وإن لم تتأقلم مع ذلك، فقد فقدت الرضا بل وفقدت إمكانية الوصول إليه بأي شكل من الأشكال. كما أنه من الضروري أن تدرك حقيقة أن الأمر لا يتصل بها فحسب، بل يتصل بك أيضا، فأنت تخبرها عن صراعاتك وأمورك الدفينة وتفاصيلك العميقة ومخاوفك تجاه حياتك ومستقبلك وجسدك، وفي نفس الوقت تنتظر التقبل. ولهذا من الضروري أن تكون عادلا.

من الضروري أن تدرك الكثير من الأمور مع الوقت، عليك أن تدرك أن جسد امرأتك ليس ملكك حتى وإن أخبرتك بأنه كذلك وحتى وإن أخبرتها أنت أن تخبرك بذلك. فقد وصلت إلى حقيقة أنها لا تملكني وأنني لا أملكها، لكن الالتزام بمثابة المفتاح، ذلك المفتاح الذي يخص الوصول إلى حالة التوافق والانسجام النسبي والتأقلم المقبول، وهو ما يساعد على التقدم إلى الأمام، لأن الكمال لم يكتب من أجلنا، وهو ما يتطلب التقبل وتحقيق الانسجام بأي شكل من الأشكال طالما أنه من الممكن الوصول إلى ذلك دون إقحام للأمور في غير محلها ودون إجبار بكل تأكيد، لأنه من المعروف أنه لا يوجد انسجام مع إجبار.

ها هي تظهر على الساحة من جديد، وها هي تكشف عن وعيد، وعيد غريب لم أفهمه في بادئة الأمر. تخبرني بأنها قد اكتشفت أنني كنت أرسل صورا عارية تخص جسدي لمريضة ما، فأخبرها بأنني لم أفعل ذلك، فتمسك بهاتفي وتظهر لي ما وجدته عندي، فأبكي بشدة وأعدها بألا أفعل ذلك مجددا، فتخبرني

بأنني رجل محترم وبأنه من الضروري أن أراعي عملي وسني وبيئتي وعائلتي وقيمتي.

تغادرني عائدة إلي فراشها، فأتجه إلي الحمام في سرعة تامة وأضحك بشدة بداخلي، فقد اكتشفت اللعينة أمرا لم يرد علي بالي، لكنها لا تعرف شيئا عن دواخلي، فأنا أكره العبء الذي تمثله علي وأكره تلك المسئوليات التي أقحمت نفسي فيها، ولهذا كنت دائما ما أبحث عما يخرجني من هذه الدائرة، لكن الغريب في الأمر تمثل في الحقيقة القاسية، تلك الحقيقة التي تخبرنا بأن عدم التأقلم مع الدائرة التي تخصنا لن يؤدي سوي إلي مغادرة كل الدوائر التي نهرب إليها بعد أن نعجز عن التكيف معها، لأن التعود علي التأقلم بمثابة المفتاح، فالأمر يتصل بتطوير القدرة علي فعل ذلك، تلك القدرة التي إذا لم تطور منذ البداية، لم نصل إلي مفتاحها قط، وظللنا في اختلاج واضطراب دائم!

-14-

الدول المتقدمة قليلة، الدول المتفوقة علميا قليلة، تلك الدول التي تحظي بموارد كثيرة وباهتمام بالعلم والفيزياء وبدرجات مقبولة من الفساد، تلك الدول التي يوجد بها عقول ذات خلفية دينية وأخري علمانية أو بعيدة عن الدين. إنها دول تحترم النظام وتسعي نحو الحفاظ عليه قدر الإمكان، وفي نفس الوقت تحاسب المخطئ في سرعة تامة وتطبق القانون على الجميع وتحترم العقول المختلفة.

عندما تتحرك بداخل بيئة دينية، عليك أن تفتح آفاقا للعلم حينما يمكنك أن تفعل ذلك، عليك أن تفهم حقيقة أن الدين يشجع على التقدم إلى الأمام والتعلم والوصول إلى كل ما يفيد، لكن هذه الحقيقة قد تغيب عن الكثيرين وهو ما يسبب الأسف والحسرة في حقيقة الأمر.

الدين ليس في حرب مع العلم، إنها خرافة، فالدين يشجع على الاستفادة مما يمكن الاستفادة منه طالما أن الحركة بداخل السياق السليم والمقبول، وهو ما يمثل الرزانة التي اكتسبتها عقول كثيرة كانت قادرة على الجمع بين الخلفية الدينية والتقدم العلمي والفكر العالي.

الدين يدعم الفن اللائق، لكنه لا يدعم العري، ورغم أن التعري قد يعتبر فنا في الكثير من الثقافات، إلا إنه من الممكن أن نتجنب هذه النقطة وأن نركز على السياقات الأخرى التي من الممكن أن نصنع منها فنا بنفس القدر وربما بشكل أوسع.

إن الدول المتقدمة لا تحظي بالكمال وينقصها الكثير لكنها قد وصلت إلى درجة عالية فيما يخص التكنولوجيا والتنقل بين الكثير من العلوم والمجالات، أما نحن، فإننا نتحرك معتمدين على تلك التكنولوجيا التي يقدمونها إلينا، وهو ما يمثل أمرا خطيرا بكل تأكيد. لكن الفرق الواضح يكمن في حقيقة أن هذه الدول تتمتع بالموارد التي يتم الحفاظ عليها وتوزيعها بشكل عادل وسليم، وفي نفس الوقت تحظي بالتعمق فيما يخص الفيزياء والكيمياء والعلوم المختلفة التي تدعم الصناعة وتساعد على النهوض بها.

كنت أتنقل بين هذه الكلمات التي كتبها شاب متحمس في إحدى المجلات، وقد توقفت عن التفكير بغتة بعد أن زارني الميسوجيني اللعين دون موعد متفق عليه.

-15-

اللعين، إنه ينظر إلى بينما يجلس في الأسفل، أنظر إليه بينما أقف في الأعلى، أنظر إليه عبر فوهة صغيرة، أحاول أن أصل إليه بنظري، أحاول أن أفهم ما يدور بوجدانه وعقله.

يخبرني بأن النساء عاهرات، يوضح لي أنهن عاشقات للشهوات والتعري والإغراء والإحساس بالنفس، يتابع كلماته محدثا إياي بأنهن يعشقن التخيلات وينظرن إلى الرجال بشهوة ودون خجل ويرغبن في الوصول إلى أيورهم بكل الطرق.

أخبره بأن تعميمه يبطل فكره، أوضح له أن المرأة لديها شهوة مثلها مثل الرجل، وهو أمر معروف، لكن الفكرة بأكملها تتعلق بعملية التوظيف وضرورة البحث عن الذكر المناسب والقادر على تحقيق الاستقرار والاستمرار، منعا للتنقل المرهق، ذلك التنقل الذي يرهق المرأة كما يرهق الرجل، بل وربما يرهقها بصورة أكبر، بعد التعرض إلى الكثير من التجارب الفاشلة. ورغم ذلك فإنه من المعروف أن الأمر يرتبط بطريقة تحرير العواطف، تلك الطريقة التي تتصل بالبيئة ودرجة التمرد وطبيعة الشخصية بكل تأكيد.

أوضح له أنه ليس من اللائق أن يصف فئة كاملة بهذه الصورة، أخبره بأن صفة العهر تمنح لأي إنسان يصمم على الطريق المضطرب والبعيد عن الطبيعة المناسبة، وهو ما يتصل بكل ثقافات العالم في حقيقة الأمر، لأنه من المعروف أن المتزوج الذي يعربد في غرب أوروبا ينظر إليه بصورة غير لائقة، بل وربما تحتقره عائلته بأكملها، وهو ما يتصل بالمرأة أيضا.

يضحك بشدة، يخبرني بأن الضجة حول الفعل كبيرة، لكن الفعل نفسه ليس بكبير، يتابع كلماته موضحا لي أن البشر يضخمون من شأن هذه الأمور، لأن هناك ما غرس بداخلهم ليصلوا إلى هذه الصورة، وهو ما يتصل بالنفس والفسيولوجيا ودرجة الحجب.

يتحدث بصورة تعبر عن ثقافة واسعة، فيخبرني بأن الإفرازات تفرز، فيتفاعل العقل بصورة كلامية، فتتسلل أفكار منحرفة إليه إذا لم يكن الفرد مرتبطا، وفي نفس الوقت تراوده أفكار أخري تحاول أن تكبت ما بزغ، وهو ما يؤدي إلى صراع تحدد شدته وفقا للكثير من الأمور، مثل درجة الانشغال والقدرة على الإلهاء ودرجة الحكمة ومدي التدين ودرجة التمرد وحجم الوقوع في الخطأ، وهو ما يتصل بالشخصية ومدي تهورها وطبيعة قلبها وحجم اهتمامها بكل تأكيد.

أخبره بأنني علي علم بهذه الأمور، أوضح له أنني لا أفهم سر تحدثه بهذه الصورة، وأحدثه بأنني سعيد بالاستماع إلى كلماته رغم عشوائيتها في بعض الأحيان.

أخبره بأن الفعل الجنسي يظهر سيطرة ذكورية في معظم الأوضاع، وهو ما يؤدي إلي منح الذكر صفة سيادية يستمتع بها ومنح الأنثى استسلاما تستمتع به، لكن عملية الخلط أمر شائع، فتنقل السيطرة من الجنس إلي الواقع فيما يخص التحرك اليومي والمعاملات البشرية، فنجد الذكر محاولا أن يظهر سيطرته في الحياة العملية كما يظهرها في نشاطاته الغرائزية، لكن النساء ليست بهذه السهولة والطيبة، لأنهن ماكرات مخادعات مقاومات، وهو ما أدي إلي ظهور الحركات النسوية بل والعمل علي تشكيل وضعيات تتصل بالنشاط الجنسي نفسه

وتمنحهن السيطرة مثل وضعية الكاوبوي علي سبيل المثال. ورغم ذلك، فإنه لا مناص من أن تكون السيطرة للذكور في معظم البلدان، بسبب الكثير من الأمور التي تتصل بالثقافة القديمة والمتشعبة والعميقة. ورغم ذلك فإنه من المعروف أن للذكور مميزات يتمتعون بها، وللإناث مميزات يتمتعن بها، وهو ما يمثل المنطق والتقبل.

ضحك الرجل بشدة، وقد أخبرني بأنه يريد أن يتحدث عن نفسه وأن يفصح عما بداخله، لأنه يشعر بأنني أتحدث أكثر مما يتحدث هو، وهو ما يمثل الغرابة بالنسبة إليه وبالنسبة إلي في حقيقة الأمر.

اعتدلت في جلستي، كشفت عن ابتسامتي، شعرت بأن الذاتية قد نالت مني وأن الموضوعية قد فقدت، لكن التأرجح سمة اللقاء والحفلة قائمة حتى تطفئ الأضواء، لكن الاستقرار مطلوب قبل الانتهاء، فإن انتهت الحفلة وأنا في وضعية غير لائقة، فربما أكون وقتها قد فشلت في إنقاذ ما وجب إنقاذه.

التأرجح ليس بالسهولة التي نتخيلها، والعودة إلى المكان المناسب واللائق أمر يحتاج إلى مجهود كبير ويصاحبه اضطراب عظيم، ولهذا من الضروري لمن يجد نفسه في المكان الصحيح أن يظل مستقرا فيه دون أن يفكر في الجانب الآخر، لعله يستمتع بالحفلة في هدوء ويخرج منها غير مذموم.

جلست أستمع إلى الرجل في صمت تام، وقد أخذ يتنقل بين الأفكار محدثا إياي عن الكثير من الأمور التي اتصلت بحياته واقترنت بخلجات نفسه ودواخله.

-16-

انظر إلى هذه الكائنات، إنها تتحرك راغبة في التعرف إلى بعضها البعض، تتحرك راغبة في التعارف، في المضاجعة، في التشاحن، في التقاتل، في الادعاء، وفي إظهار السياق العاطفي المضطرب والمفعم بالأحاسيس والمشاعر المختلطة والمتضاربة.

إن هذه الكائنات لا تعرف شيئا عن النضج، نعم، لا يوجد إنسان ناضج، فكل منا يكمن بداخله طفل مجنون يظهر بغتة في لحظات غريبة وعجيبة، نعم، بل إن الأمر لا يتوقف عند هذه النقطة فحسب، لأنه من المعروف أن الخلل النفسي موجود بداخل الجميع، موجود بدرجات مختلفة، درجات تتنوع وتتشكل وفقا للكثير من النقاط، لكن الخلل قد يتحول إلى مرض نفسي حقيقي في حالات كثيرة، وهو ما يؤدي إلى سياقات يصعب فهمها أو التعرف عليها وإدراكها.

إن ما يعتبره مجتمعنا خللا في مجتمع ما، يعتبر أمرا عاديا بالنسبة إلى أهله، فعلي سبيل المثال، عندما تقدم الفتاة على الزواج في بعض المجتمعات، تجتمع مع صديقاتها في مكان ما ويحضرن ذكورا يعملون على التعري من أجلهن، نعم، حفلة توديع عزوبية غريبة بالنسبة لنا لكنها عادية بالنسبة لهن، ورغم ذلك، فإنه من المعروف أن الحكمة تخبرنا بأن هذا السلوك لا يمثل سوي الخلل والتدني.

الكثير من السلوكيات، العديد من الأمور، الوفير من الأشكال، كلها تحركات بشرية تقودها دواخل عشوائية ومتضاربة، نعم، فكثيرا ما نقدم على فعل أشياء عبثية وبعيدة

عن الحكمة، رغم إدراكنا لحقيقتها ورغم تكهناتنا فيما يخص الندم الذي لا مناص من الهروب منه في فترة ما، خاصة عندما تخور القوي وحينما نجد أنفسنا في الخلاء!

أخذ يحدثني بهذه الكلمات، أخبرني بأنه قد عانى الكثير في حياته، وضح لي أن الصراعات قد نالت منه وأهلكته، والأكثر غرابة تمثل في اعترافه بحجم الخطأ الذي ارتكبه، وهو ما جعلني أنصت إليه في اهتمام، لأنه أظهر تصالحا مع الذات، ذلك التصالح الذي قليلا ما يصدر عن البشر في هذه الأيام.

غادر الرجل بعد ساعتين من النقاش. أعتقد أنني رجل غريب، نعم، إنني غريب لأنني أنصت إلي البشر لمدة طويلة، أستمع إلى معاناتهم، أراقب تصرفاتهم، رغم أنني أعاني الكثير، ورغم أن حياتي ليست بالسهولة التي يتخيلونها، لكنني كثيرا ما أكبت ما يرغب في البزوغ، خوفا من أن يخبرونني بأنني أعاني من الإحساس العالي بالذات، ولكن من الضروري ألا أعبأ بهم، نعم، من الضروري أن أعبر عن الضجيج الساري بداخلي، نعم، تبا لهم جميعا، نعم، تبا لهم، بل وتبا لي أيضا!

-17-

ذكور وإناث في حالة من السكر والعربدة، ساحة واسعة يحوطها نخيل ويتسلل إليها ضوء أحمر غريب دخيل، رجل عجوز ذو لحية حمراء يقف أمامي ضاحكا مغتبطا، يسخر منهم ومنهن، يتوعدهم ويتوعدهن بالهلاك، ويخبرني بضرورة أن أقفز إلى البئر، فأخبره بأنني لا أرغب في ذلك، فيجرجرني رغم أنفي، ويلقي بي في أتون الجحيم!

أجد نفسي في مكان غريب، كل شيء به مبهم، كل حركة به عجيبة، كائنات تعرض على السوط، عربات تجري بلا هوادة، صياح في كل مكان، وامرأة تجري وسط معركة كاشفة عن اضطراب وعن رداء داخلي غريب، فأحاول أن أغطيها فتبعد يدي عنها، لكنها سرعان ما تصرخ كاشفة عن بركان لا مناص من أن يثور!

إنها ترغب في التعري، إنها ترغب في المضاجعة، لكن الأمر مستحيل، نعم، فالأمر ليس بهذه السهولة، لأن الكثير من القيود موجودة، وهو ما يجعلها في حالة تشتت غريبة، فتعجز عن التعبير وتعمد إلى التدبير، لكنه تدبير لا يتصل بقناعة، فإن وجدت القناعة سهل الأمر وتحقق الاستقرار.

استيقظت من نومي مفزوعا، وجدت إلى جانبي امرأتي تتأملني كاشفة عن ارتياب، وها هي تحاول أن تمنحني الهدوء والطمأنينة، لكن السكون صار مستحيلا، خاصة بعد أن امتلأت بيئتي بالكثير من المشتتات، فالأمور لا تعرف انتهاء، وكل خطوة تؤدي إلى أخرى، والحياة أشبه بسلم لا نهاية له إلا في وقت محدد، ذلك الوقت الذي نرفع فيه الرايات البيضاء معبرين عن

الاستسلام، لكن الاستسلام لا يحصل منذ البداية، فالإنسان معروف بالصمود حتى تخور قواه الغرورة، وهو ما يرصده التاريخ ويعبر عنه بصورة واضحة.

-18-

جلست فوق سريري أتأمل الكثير من الأمور، كانت أباجورتي تمنحني الدفء الذي عجزت زوجتي أن تمنحني إياه مؤخرا، نعم، كنت مستمتعا بالجلسة، وقد انخرط ذهني في حالة غريبة، فأخذت أتنقل بين الكثير من الأفكار وأتأمل ما آلت إليه التجربة.

البشر كائنات شريرة، كائنات تقتل، تسرق، تعربد، تكذب، تنافق، تتمني الشر لبعضها البعض، وتنشر الفسق والفساد. إنها كائنات مخيفة، مخيفة جدا. هناك من يدعم من هذه الأفكار في ذهني، هناك من يحاول أن يخرج طاقة الكره الكامنة بداخلي، لكن هل من المنطقي أن تخرج هذه الطاقة معتمدة على تعميم أهوج؟ هل من المنطقي أن تخرج بهذه الصورة؟

لا يمكنني أن أنسي تلك الأسرار التي نقلها إلى ذهني أحد الأفراد في يوم من الأيام. لقد أخبرني بأن من يصلون إلى الكثير من الأماكن المثمرة يتم دعمهم من قبل عناصر معينة، وضح لي يومها أن مجتمعنا لا يسير وفقا للخبرة أو المهارة، وأنه يسير وفقا لأمور أخري بعيدة كل البعد عن هذا السياق. حدثني بأنه لا مناص من أن يكون هناك يوم للحساب، ليأخذ كل إنسان حقه، وهو ما يمثل العدالة الإلهية التي لابد من تحقيقها، وفقا لكلام الإله.

انتقلنا بعد ذلك إلى موضوع آخر، حيث وضحت له أنه من الضروري أن ندرك حقيقة أن الرزق لا يتصل بالذكاء وأنه

يتصل بالكثير من الأمور الأخرى، وهو ما يمثل الحقيقة التي لا مناص من تقبلها والتعرف عليها.

لا يمكنني أن أنسي تلك الجلسة التي انخرطت فيها مع بعض الحمقى ممن جلسوا ليخرجوا عواطفهم في أي اتجاه،
متجاهلين حقيقة أن تنظيم العواطف لا غني عنه من أجل الثبات.

-19-

عندما تأتي حالة Musth الفيل، تنتابه موجة هياج غير عادية، يرتفع مستوي التستوستيرون لديه، ويسود الاضطراب الموقف.

الذكر الأعزب من البشر قد يتعرض إلى حالة مشابهة في بعض الأيام، لكنه مقيد، فيكسر قيده بشكل من الأشكال، والأنثى العزباء قد تتعرض إلى اضطراب كبير خاصة أثناء الدورة التي تأتيها في كل شهر وتستمر عدة أيام.

بالطبع، هناك الكثير من الأمور التي تتصل بهذه الحالة، كما أنني أحاول أن أستجلب أحوال الفكاهة، وهو ما يجعلني قادرا على التأكيد على حقيقة أن الضغط الجنسي قادر علي إقحام المرء في بيئة الزواج جنبا إلى جنب مع الضغط الاجتماعي والعاطفي.

الإنسان لا يعرف ما يريد، فالضباب في كل مكان، لكن الروحانية بمثابة الأمان، والطريق لن يمهد سوي برضا الرحمن، والإنسان المتكالب مصيره الهلاك النفسي والتأرجح بين فوهات البركان.

التنقل بين العلاقات مسبب للاضطراب والأحزان، فالمضاجعة العشوائية مع من يخزلوننا عاطفيا لا تسبب سوي التراكمات السلبية والترسيبات المضرة، وهو ما يمكن رصده في كل الأحوال، لكن التأني بداخله تكمن السلامة، والسلامة تتصل بالحكمة والرشد والسعي في طريق الإله.

انتهيت من التنقل بين هذه الكلمات التي لم أفهمها في البداية، رغم بساطتها، وقد جاءني المريض المألوف مخبرا إياي بأن حالته قد ساءت وبأنه لم يعد قادرا على الإحساس بالأمان.

-20-

هناك متعة خفية في أن يخبر أحدهم الجميع بأنهم ذاهبون إلي الجحيم مانحا نفسه مكانة أعلي ممن حوله، ماركيز دي ساد عربيد في الحياة الواقعية وفي كتاباته أيضا، هناك من يعتبر نفسه إلها وهو مريض بكل تأكيد، الستر لا يمثل ازدواجية لكنه يمثل حالة تشاحن قد تؤدي إلي نتائج مثمرة عبر التخلص مما لا يفيد، الاضطراب النفسي أمر طبيعي لأن الحياة بأكملها لا تمثل سوي اضطرابات طالما أنها اضطرابات لا تؤدي إلي مرض نفسي أو شيء من هذا القبيل، رجال يحضرون المؤتمرات العلمية من أجل الطعام لا أكثر ولا أقل، هناك خلايا مسئولة عن النسيان وهو ما يمثل أمرا مثمرا بالنسبة إلي التحسن النفسي، الاضطراب النفسي عند المخالف أمر طبيعي يهدف إلي التصحيح ويمثل جزءا من السياق الحياتي المفعم بالاضطرابات المتنوعة، التعددية فيما يخص الزواج تحتاج إلي أسباب مقنعة ومراعاة لنفسية المرأة وتفهم بين الطرفين، علاقة صحية سليمة مدي الحياة أفضل من مليون علاقة مضطربة لا تعرف استقرارا أو دفئا، حينما تقترب من القطة بفمك تقترب هي الأخرى منك بفمها، تمثال الحرية يعبر عن الهراء، الكلام الجنسي له تأثير عظيم وقوي للغاية علي العقل، رجل غريب تمني الكثير ولم يحصل حتي علي ربع ما تمني لكنه تمكن من الحصول علي ربع كيلو كباب وقد جلس ليأكله، رجل لا يتجاهل أهمية المعاملات البشرية وصدقها لكنه يركز فقط علي تخصص محدد، من يخبرك بأنه يفهم كل شيء لا يفهم أي شيء، شخصيات تتنقل بين موضوعات لا تربطها صلة بشكل غريب وتعرض أفكارا متسارعة وتعاني من الذهان، معظم الملحدين يعانون من تفكك الأفكار وبعضهم يحاول استخدام كلمات صعبة لا تربطها صلة بأي شكل من الأشكال، الكثير من

الملحدين يعانون الوحدة والانطوائية ذات النوع الممرض وبعضهم أقدم من قبل علي محاولة الانتحار. الدين عند الله هو الإسلام منذ القدم، دين كل الأنبياء والرسل هو الإسلام، تأمل عزيزي معني كلمة الإسلام، كلمة مثقف خدعة وكلمة عالم خدعة وكلمة فيلسوف خدعة، لا يوجد إنسان يعرف كل شيء لكن يوجد إنسان جهول لا يعرف شيئا، كل إنسان يفهم بعض الأمور في اتجاه معين لا أكثر ولا أقل، كل إنسان يعرف شيئا ويتحدث عنه في تكرار حتي مماته، السباق مطلوب دون تشاحن والتفاخر مقبول دون تعمق والوهم سيد الموقف، السريالية قادرة علي منح الكاتب حرية التنقل بين الأفكار التي لا يربطها رابط ومن الضروري عدم الخلط بينها وبين من يعانون من التخبط الفكري والنفسي في الحياة الواقعية لأنها تمثل نوعا من الفنون لا أكثر ولا أقل، التحدث عن الموت وتسارع الزمان لا يعني شيئا خطيرا أو هروبا من شيء بالضرورة، فربما يمثل الأمر إعجابا بفكرة المرور والشيب لا أكثر ولا أقل، الحلم الأمريكي وهم يعزز النرجسية والإحساس بالذات والاعتقاد بالأهمية والهوس بالنفس، التعددية الغربية المنتشرة والتي تخص المنتجات وكثرتها تعبر عن رغبة في محاولة وهمية تهدف إلي الاستقرار والمكوث فوق الجسر رغم كونه معبرا لا أكثر ولا أقل، هناك جينات تتصل بالعالم الماورائي المنظم والإحساس بحقيقة أن الخالق يسيطر علي كل شيء ويحفظنا، السعادة المقترنة بتعدد العلاقات وهمية ومؤقتة، وهناك تأرجح بين السعادة والانتعاش من جهة والألم والحسرة والندم من جهة أخري.

أخذنا نتنقل بين هذه الأفكار دون توقف، تنقلنا بينها في تعمق شديد، وقد جلس ليحدثني بعدها عن الكثير من الأمور التي تخص حياته وعلاقاته بمن حوله.

وقد كانت البيئة دافئة للغاية، وقد زاد دفئها حينما قدم الرجل إلى لوحة فنية رائعة كهدية منه لمعالجه، وقد عبرت اللوحة عن رجل يحمل سوطا يضرب به ثلاث نساء بلا هوادة.

كانت لوحة رائعة، كانت ترصد فنا ثمينا عظيما، أعجبت بها وتعمقت في مديحها، وقد جلس يحدثني عن نسخته الخاصة من اللوحة، تلك النسخة التي كان يحتفظ بها في منزله الموقر، ذلك المنزل الذي كثيرا ما زارته العاهرات وكل الساذجات اللاتي شاركن في التحقير من شأن بنات جنسهن، عبر الخضوع للتسليع بكل تأكيد.

-21-

عدت إلى منزلي مسرعا، وقد جلست أتحدث مع زوجتي اللعينة كثيرا دون توقف، وقد دقت ساعة النوم، فغادرتها في سرعة تامة، وقطنت سريري مبتسما، لكنها سرعان ما لحقت بي، فغادرت الابتسامة وجهي.

جاءني في منامي حلم غريب، حلمت بأنني نائم بشكل عميق، وقد استيقظت من نومي بداخل نومي، فجاءني كل ما هو مريب وعجيب!

ولجت المطبخ، وجدت رجلا يرتدي طرطورا عجيبا كاشفا عن أير مريب، وقد وجدت معه امرأة عارية ترتدي طرطورا هي الأخرى بشكل غريب، كانت تضحك دون توقف، وكان يضحك دون سكون، فأصبت بالجنون، ودهشت لما رأيت وتعجبت مما آل إليه الموقف، وبينما كنت منغمسا في محاولة فهم ما رأيت بأم عيني، ظهر لي ملحد مجنون وكان مرتديا لطرطور. فبترت أيره إلى نصفين بعد أن حملت سكينا غريبا كانت زوجتي قد وضعته إلى جانب الصنبور!

رجال كثيرون يلجون المطبخ في استمرار. يحاولون التأقلم مع الوضع دون استقرار. يتحاورون مع ذي الطرطور محاولين الوصول إلى حل مفهوم، لكنه يخبرهم بأن الأمر لا يمثل سوي الجنون وبأن كل ما تراه العين لا يمثل شيئا مهما بالنسبة إلى الوجود.

الأمور مختلطة، الماء يمر عبر الصنبور دون توقف، ولا توجد مساحة للتمهل، فمن الضروري أن تفهم الأمور جنبا إلى جنب مع

الحراك، فالسكون غير موجود، ومع الحركة لابد من إدراك كل شيء، لكن الإنسان يدرك بعد فوات الأوان أن النظام وهم كبير وأن العشوائية سيدة الموقف بكل تأكيد.

إنها حالة واضحة من الAnxiety Disorder ، إنك تعاني من اضطراب واضح وانزعاج مستمر وعصبية وعدم راحة وتعرق وإحساس بالضعف وتسارع في ضربات القلب والتنفس، أعتقد أنك في حاجة إلى المزيد من الجلسات.

لا تأخذ الحياة على محمل الجد بهذه الصورة، فإنها خدعة كبيرة، ضع في ذهنك دائما أنه من الممكن لكل هذا أن يتلاشى في لحظة، نعم، من الممكن أن يحدث التلاشي في لحظة دون تمهيد أو استعداد.

يخبرني المريض الذي أخبرته بكل هذا، بأنه يفهمني جيدا، يوضح لي أن الحياة بأكملها تمثل أمرا غريبا يصعب فهمه، ويحدثني بأن هناك خطوطا غريبة نعجز عن فهمها لأنها تفصل بين نقيضين متطرفين بشكل واضح، كالخطوط الفاصلة بين الحياة والموت، بين الرحمة والعقاب، بين الوعي وفقدانه، وبين الراحة والتعب.

أصفق له وأمنحه مشروبا فوارا بينما يتأملني كاشفا عن ابتسامة جميلة وهدوء قد بدأ في التسلل بشكل من الأشكال، لكن الهدوء قد تلاشي بدخول اللعين، فقد حل الميسوجيني من جديد على بيئتي، وها هو يطالبني بأن نعقد جلستنا في سرعة تامة، فيغادرني المريض ويجلس معي الحبيب.

نتحدث عن الكثير من الأمور، نتنقل بين الموضوعات في انسيابية وتألق، لكنه سرعان ما يتطرق إلى موضوع يحدث

اضطرابا في التجربة ويسمح للخلل بأن يتسلل إلى الأجواء ويؤدي إلى التوقف والبحث عن الحلول.

-23-

لن أخبرك عن حديثنا عزيزي القارئ، فحوارنا لا يمثل أمرا محوريا بالنسبة إلى هذا الكون، لا يمثل سوى ذبذبة صوتية عبثية لا تعرف استقرارا، ولكن من الضروري أن أخبرك عما راودني في حلمي ونال مني.

عندما عدت إلى منزلي، جلست مع زوجتي، تحدثنا قليلا، ولجت غرفة النوم، لحقت هي بي، تلفعنا بلحاف سميك وانغمسنا في نوم عميق.

لكن الغريب في الأمر تمثل فيما جاءني وأدخلني في حالة لم أفهمها، حالة راودتني بينما كنت أتأرجح بين غياهب النوم ومتاهاته التي لا حصر لها.

وجدت نفسي في حفل كبير، كنت محاطا بالكثير من النساء، نساء من كل البلدان يلجن القصر دون توقف، نساء يحملن كل الجنسيات، نساء غريبات وأخريات مألوفات، لكن العجيب تمثل في التسلسل غير المنطقي، فقد عرفت أنني قد دعوتهن إلى القصر بنفسي، نعم، دعوتهن بنفسي!

وجدت نفسي في ظلمة غريبة، أصواتهن في كل مكان، يتحدثن بلغات مختلفة وتجمعهن رقة الأنوثة، نعم، تلك الرقة التي تقترن بها حينما تغرد، نعم، فحينما تغرد الأنوثة يصبح الأمر خلابا.

لكن الرقة سرعان ما تشكلت وتدحرجت، سرعان ما تحولت إلى ضجيج وصراخ، فقد أشعلت النيران في كل مكان، وها هو

القصر يحترق كاشفا عن دخان، فالضجيج في كل مكان، والنيران تلتهم النسوان أيها الشبان!

لقد وصلت إلى غايتي، انتقمت من أجل نفسي، وتخلصت من كل نساء العالم، نعم، فقد تخلصت من كل الاضطرابات العاطفية والنفسية، تخلصت من الكلمات العبثية والمتطلبات الفارغة التي لا تعرف حدودا، تخلصت من الهراء ومن كل ما يرهق الأذهان ويدخلها في متاهات.

ها أنا أحتفل بفوزي، ها هي الغلبة تلوح في الأفق، وها هو يشكرني على سكونه، ذلك السكون الذي شمل التجربة بعد أن خنعت الغلبة لنا وبعد أن طوعت وخضعت.

لكن الغريب في الأمر تمثل في كادر عجيب رأيته بأم عيني، بعد أن استيقظت من نومي بلحظات، حيث رأيت امرأة نائمة في سكون تام، ملطخة بالدماء ومشوهة كغزالة هاجمها وحش مفترس فنال منها واكتسحها!

ها هي ضحكاتي تتعالي في عنان السماء، وها هو فمي يعبر عن اشتياق، لكن الريح تهجم التراب علي الدار ، والصراعات تتفاقم بلا هوادة.

فما ظننه مخلصا لي كشر عن أنيابه، وها هي الأجراس تضرب في عجالة، وها هو الصبح يحل ضيفا على بيئتي.

وقد ارتديت بزتي، واحتسيت قهوتي، وقفزت من شرفتي!

(تمت)

************ توضيح ************

الأفكار المعروضة تخص الشخصيات وحدها وعالم الخيال وبيئة التضخيم من شأن القوالب الأولية.

سرعة التنقل بين الأفكار وطريقة العرض المتبعة، أمر مقصود لدعم الجانب السريالي قدر الإمكان.

يحترم الكاتب الرجل والمرأة والإنسان بوجه عام، وإظهار الجانب المضطرب لدي الإنسان أمر يقتصر على الورق ولا يتصل بالرؤية الشخصية.

الأعمال الروائية القصيرة تتضمن حالة من التركيز على الغرائز والحياة والموت، وهو أمر مقصود لأهداف فلسفية وتحليلية لا أكثر ولا أقل.

حالة التركيز على الجنسانية أمر مقصود لأن جوهر الأعمال **Non-Fiction** يحاول تحليل عالم الجنسانية لكنه يتخفى وراء ال**Fiction** مدعوما بلغة روائية سريعة.

الكاتب يحب أن يعيش هذه الشخصيات على الورق ويعشق التنقل بين الشخصيات المضطربة، وتمثل عناصر العزلة والهوس والاضطراب والصراع الداخلي والروحانية والمادية والشهوات والوهم البشري أمرا محوريا وواضحا في أعماله.

****

(تم الانتهاء من هذا العمل في 7 جلسات)
(استغرقت كل جلسة 4 ساعات)
(تمت المراجعة في ساعتين)

تأملات في (فيلسوف وفتاة)

تمثل الفتيات في هذا العمل الروائي القصير الماضي، يمثلن حبيبات الزمان الذي ولي، فالفيلسوف يقابل أشباحا على مدار الطريق، يقابل فتيات الماضي، يتذكر العواطف الجياشة فلا يجدها، يحاول أن يستدعي ما يمكن استدعاءه، ويسعى نحو استعادة أيام شبابه بأي شكل من الأشكال.

أشباح تلاعبه على مدار العمل، أفكار مضطربة تراوده بشكل واضح، نزعة دينية تكمن بداخله، بصبصة تسيطر عليه، اضطراب عاطفي يؤثر على عمله، ودونجوانية قتلها الزمان واقترنت بأوهام وسراب تلاطفه.

عندما يتحرك الذكر تاركا احتمالية أن يقابل امرأة جديدة مفتوحة أمامه، يتحرك بقوة، يقبل على الحياة بتكالب، تجده يعيش سعيدا منتظرا احتمالية أن تظهر أمامه امرأة جديدة، نعم، فبمجرد أن يفتح الرجل الباب لاحتماليات جديدة، يشعر بنفسه ويتحرك كوحش جاسر، حتى إن لم تظهر له أي امرأة، وحتى إن اكتفي بزوجته فحسب. فالاحتماليات المفتوحة تنعش الإيروس، أما الدين، فإنه يطالبك بأن تغلق الباب أمام هذه الاحتماليات، ومن هذه النقطة، يبدأ الاختبار، فطوبي لمن كبح نفسه ففاز وأرضي نفسه داخل الإطار الصحي والمناسب، لعله يحصل علي أعلي درجات الجنة في نهاية المطاف، إذا حقق نجاحا موازيا فيما يخص النقاط الأخرى، وإذا أراد اللّٰه عز وجل ذلك برحمته.

لكن الفيلسوف كان ممن يفتحون الباب، ورغم ذلك، فقد تمكن من إغلاقه في نهاية المطاف، ولا شك في حقيقة أن من يغلقه في صغره أقوي ممن يغلقه في كبره وأعلي مكانة.

إن الفيلسوف يعيش أيامه الأخيرة، يعيشها محاولا أن يستعيد لذة الماضي فيعجز، ويتذكر أيام شبابه عبر الحديث مع فتياته الوهميات غير الموجودات في حقيقة الأمر.

ومن الضروري أن أؤكد على حقيقة أن هذا الرجل متأثر بشدة بفتيات الماضي، لدرجة أنهن قد لحقن به في أيام عجزه، وهو ما يؤكد أن المراهقة تؤثر في الشخصية بقوة، ورغم ذلك تبقى الطفولة الأكثر تأثيرا.

إن تصرفات الشباب المتمردة والعاطفية في المراهقة، من الممكن تقبلها في الكثير من الأحيان، لكن من الضروري ردعها بسرعة في سن مبكرة ومحددة خاصة مع الجيل الجديد، لأن فرص العمل قليلة جدا أو ضعيفة، والجدية قد فقدت وأشكال اللهو قد أصبحت أكثر تعمقا في مجتمعنا العربي، وهو ما يعني أن الأجيال الجديدة قد تصبح معتمدة على اللهو والتخدير حتى الرحيل، وهو ما سيؤدي بدوره إلى تشكيل عائلات ضعيفة خاوية لا تقدم سوي أجيال جديدة أكثر ضعفا وهشاشة.

وبالعودة إلي الفيلسوف، فإن فتيات مراهقته يلاعبن خياله، وزوجته تأتيه بين الحين والآخر، وانتظاره للرحيل أمر واضح، أما المشهد الختامي، فإنني لن أعمد إلى تشريحه، حفاظا على رونق الفكرة ورمزيتها القابعة بين حوافها.

من المهم أن أشير إلى حقيقة أن الفيلسوف يعاني من الكذب بشكل واضح في بعض الأحيان، فيخبرنا عن خيالات جنسية وقصص عجيبة يحاول أن يرضي غروره الذكوري من خلالها، ذلك الغرور الذي يشبه غرور المراهق، فبالرغم من كبره

وفكره العالي، إلا أن شخصية المراهق ما زالت كامنة بداخله بل وتحاول البزوغ بين الحين والآخر.

يخبرنا عن فتيات كثيرات، يشعرك بأنه مراهق صغير يختلق الأكاذيب من أجل إرضاء هرموناته، ويبحث عن الدفء عبر التنقل بين الخيالات، ورغم ذلك من الخطأ أن نضفي صبغة الكذب على كل تنقلاته، لأن بعضها قد يكون واقعيا في حقيقة الأمر، وهو ما يمثل أمرا غامضا يتم تحليله بشكل مختلف وفقا للعقليات المختلفة الخاصة بالقراء الأعزاء.

هناك حالة من البحث عن الرحمة كامنة بداخله، فرغم مجونه الواضح إلا إنه يؤمن بها، وهو ما يمثل أمرا مقبولا بداخل السياق الروحاني لا الدنيوي، فيسعد ببدلة الرقص التي ترتديها من أجله الفتاة رغم نصائحه ورغم صبغه لكينونته بصبغة الحكمة والاتزان.

هناك ما يعرف باسم "الطمأنة الذاتية"، وهو مصطلح أحب أن أطلقه على أي حالة تظهر دواخلا مضطربة تسعى نحو السكون دون القدرة على التخلص من مسببات الاضطراب، فمن يسرق يصبر نفسه بعد كل مرة مخبرا إياها بأنه سيتوقف عن ذلك في القريب العاجل، وقد ينتظر الرحمة رغم فعله، وهو أمر بين العبد والإله، لكنه لا يمثل السياق المتزن المفهوم ضمن الإطار الدنيوي الذي نعيشه، وقد يعبر عن اختلال عميق بكل تأكيد.

إن محاولات الفيلسوف للتخلص من الهراء واضحة، وقد نجح في التخلص من بعض مسببات الاضطراب في النهاية، وقد عرض الكثير من العبارات التي نمت عن معرفته بالطريق الصحيح والمتزن وسعيه نحو انتهاجه.

بداخله تكمن رغبة في إقناع نفسه بأنه قد تعرف إلى الكثيرات، وهو ما يعبر عن نمط واضح من الأنماط الذكورية دون تعميم، فهناك نمط ذكوري يسعي نحو التعرف إلى الكثيرات حتى ولو تسبب الأمر في الاضطراب وعدم الاستقرار، وهو ما يعبر عن اختلال في الشخصية بكل تأكيد، خاصة عندما تكون هناك علاقة أساسية مبنية على الالتزام وخاصة عندما يكون المجتمع من النوع المحافظ.

هناك إحساس بالنقص واضح عند الفيلسوف، هناك حالة من الشعور بالقصور والضعف رغم كونه أستاذا جامعيا، وهو ما يسعي نحو إرضائه عبر التطرق إلى الجانب الغرائزي، لأنه من المعروف أنه كلما شعر الإنسان بنقص القيمة، كلما سعي نحو الهروب، دون تعميم ودون تأكيد.

الفيلسوف علي علم بحقيقة أن السعادة المقترنة بالتنقل سعادة وهمية حتى ولو جعلت الرجل يتحرك كوحش جاسر، لأن هذا الوحش لا يعرف الاستقرار النفسي ولا يعرف الاتزان، وهو ما يمثل أمرا محزنا بكل تأكيد.

سعادة مقترنة بألم، لذة مقترنة بحسرة، واضطراب واضح يسيطر على من لا يرضي ومن يحلم بعلاقة مثالية أو علاقة شهوانية بحتة، فالعقل بمثابة الأساس وارتياح القلب يريح الجسد.

هناك جانب طفولي بداخل الفيلسوف، يتحدث عن الشكل كثيرا وعن ضرورة الزواج، متجاهلا حقيقة الظروف وحقيقة أن الأمور في حاجة إلى ترتيب وأن الأمر ليس بالسهولة التي نتخيلها وأن التوافق العقلي بمثابة الأساس.

لكنه رغم ذلك يعدل عن كلماته في أكثر من جزء، مظهرا الحكمة والرشد، وهو ما يؤكد حقيقة أن الإنسان قد يتأرجح بين العبارات وفقا للمزاج ووفقا للحظة.

من الضروري أن أوضح رأيي الخاص فيما يتصل بالنضج، حيث أنني أري أن النضج يتمثل في التقبل، نعم، على المرء أن يتقبل كل شيء كما هو، لأن هذه الحالة تمنح النفس ما يسمي بالتجاهل الصحي، وهي حالة تمنح الإنسان القدرة على التفاعل مع ما يفيد والابتعاد عما يضر وينهك العقول، وفي نفس الوقت لا تصل به إلى حالة من الذهان أو الخلل النفسي. لكنها حالة صعبة المنال وغالبا ما تحتاج إلى تفعيل الجانب الروحاني والاستغناء دون تجاهل الأساسيات وما يحرك النفوس ويشحنها بالطاقات والإقبال.

إن هذا الفيلسوف يتنقل بين أشباح الماضي (فتيات مراهقته)، فتيات عمره الحالي، وفتيات الخيال. وهو ما يمثل أمرا واضحا بكل تأكيد، حيث أنه يحاول أن يضفي الدفء على تجربته بأي شكل من الأشكال، رغم أن الدفء في هذا العمر لا يتحقق سوي باللجوء إلى الإله.

لقد كانت مرحلة المراهقة عند هذا الرجل مضطربة بشكل واضح، ومن المهم أن أشير إلى حقيقة أن تصرفات المراهقة مقبولة بداخل سياق محدد دون تطرف (تشدد أو انحراف)، ورغم ذلك فإنه من المعروف أن بعض البشر لا ينجحون في الخروج من طور المراهقة، وهو ما يمثل سياقا مضطربا بكل تأكيد، لأنه يؤثر على الإنجاز والتقدم إلى الأمام.

إن مرحلة المراهقة تعاش عند الجميع، لكنها تعاش بأشكال مختلفة، وتشهد تطرفا وارتكابا للكثير من الأخطاء عند البعض واتزانا عند البعض الآخر، وهو ما يختلف بينهم وفقا للكثير من العوامل كالأهداف والإحساس بالقيمة والأولويات ودرجة الهروب والمنظومة الأخلاقية وحجم النشاط الخفي ودرجة التمرد وطبيعة البيئة وماهية الشخصية ودرجة الرضا وغيرها من العوامل.

هناك أمر يلاعب المراهق أو المراهقة بشكل دائم، وهو ما يتمثل في اللمسة الأولي، فالعقل البشري يرغب في إرضاء المسار الجنسي حتي ولو كان الأمر أوليا، خاصة عندما تكون هناك حالة من التعرض إلي الكثير من المثيرات عبر التلفاز والميديا علي سبيل المثال، ولهذا من الممكن أن نري حالات من المراهقين أو المراهقات تسعي نحو الإرضاء الأولي عبر ارتكاب الخطأ ثم الإسراع بالتوبة، بينما هناك حالات تستمر إلي الأبد، وهناك حالات أخري تعمد إلي التصميم حتي يتم الزواج، وهناك حالات يتوفر لها الزواج بسرعة دون التعرض إلي نشاط مسبق، بينما تمثل الحالات التي لا ترضي الفضول الجنسي بأي درجة مساحة صغيرة.

هناك حالة من الالتواء فيما يخص النشاط الجنسي، وهي حالة تحاول أن تمنحه خصوصية وجاذبية، رغم كونه بسيطا وسهلا وطبيعيا، لكن العقل بداخله مسارات تسعي نحو الإرضاء، وكي تقتل الملل لابد من التلاعب، ورغم ذلك هناك شخصيات تعرف الاتزان وتصل إليه عبر الرشاد والروحانية والاستقامة.

الفيلسوف يمثل شخصية ملتوية بكل تأكيد، مهما أخبرنا عن الحكمة التي يضفيها على نفسه، لكن الشيء الجيد يتمثل في

محاولته أن ينتقل إلى بيئة الرشاد، وهو ما يمثل أمرا رائعا ومقبولا بكل تأكيد.

من المهم أن أشير إلى حقيقة أن الفيلسوف يحاول أن يحل مشاكل المراهقين عبر كلماته، ويفكر فيمن عبر الجسر كما يفكر فيمن لم يعبره، فيقدم النصح إلى الفريقين مدعما الفريق المتزن ومحفزا إياه أن يظل متزنا، ويحاول أن يجد مخرجا لمن ألقي بنفسه في الوحل ويساعده على التخلص من الآثام والانتقال إلى طريق الرشاد.

إن الفيلسوف ينصح نفسه قبل كل شيء، ويضفي حالة من الذاتية الواضحة على العمل لكنه في نفس الوقت موضوعي فيما يخص الكثير من النقاط، ولا يعاني من الهوس بالنفس بأي شكل من الأشكال، لكنه يخبرنا بأن العظمة للإله وحده، وهو ما يظهر عبر الكثير من العبارات بكل تأكيد.

بداخل الفيلسوف حالة من الحماسة، حالة تظهر عبر التحدث عن الملحدين والفسوق والأوغاد، وهو ما يمثل طاقة نفسية تحاول أن تجد مخرجا بأي شكل من الأشكال.

أري أن الإنسان بداخله طاقة ترغب في الترجمة، طاقة تجد مخرجا لها عبر الكلمات والأنشطة المختلفة، ولهذا من الممكن أن نقدم على الكثير من الأمور العبثية أو نتفوه بالعديد من الكلمات الغريبة، ونتعجب لاحقا مما حدث، وهو ما يمثل أمرا واضحا بكل تأكيد.

يختلف الوعي بين البشر، فكل إنسان يتميز بدرجة وعي معينة، لكن الغريب في الأمر يتمثل في حقيقة أنه من الممكن لوعي

محدد أن يصف فعلا قديما بالأحمق، وهو ما يؤكد حقيقة أن الإنسان كائن يتعلم ويرقي بفكره كلما يتقدم إلى الأمام، ورغم ذلك قد يضمحل الوعي عند الكثيرين وقد يتراجع إلى الوراء.

فالخطأ البشري مقبول، وتجنبه الجزئي أمر محمود، والإصرار عليه ضرب من الجنون، لأن التقليل من عدد الأخطاء بمثابة الصواب والارتقاء بكل تأكيد.

ورغم ذلك، فإنه من الواضح أن الفيلسوف يعجز عن التقليل من وطأة الجانب الحيواني رغم الفكر العالي، وهو ما يعبر عن الاتصال وصعوبة الفصل والوصول إلى الاتزان.

إن كتاباتي تسعى نحو ترسيخ الملامح التراجيدية، ولهذا قد تشعر عزيزي القارئ ببعض الاسترخاء رغم عبثية الأحداث، لأن شخصياتي شخصيات تائهة، وهو ما يقلل من وطأة صراعك الحياتي للحظات، لكن من الضروري أن تعي حقيقة أن حياتك بداخلها صراعات شبيهة بهذه الصراعات لكنها أمور داخلية لم يتم تشريحها بهذه الصورة، لا أكثر ولا أقل، إلا أنه من الواضح أنني أعمد إلى التطرف العاطفي في هذه الأعمال، وهو ما يظهر بوضوح، ولهذا لا يمكنني أن أنكر حقيقة وجود اختلافات.

النفس البشرية مضطربة بشكل دائم، لا يوجد لها خلاص سوي باللجوء إلى الإله، فالاتصال بالأشياء وربط نفسك بالأمور بمثابة المنبع الأول للاضطراب، فالروحاني يربط نفسه بالخالق فقط ويظهر حالة من الاستعداد للتلاشي بكل تأكيد.

تحقيق الذات وهم كبير، لكنه وهم يجب أن يعاش ويجب أن يستمتع به المرء، وهو ما يظهر عند الفيلسوف بشكل واضح. إلا أنه من المعروف أن تحقيق الذات أمر يتصل بالعصور الحديثة وتشتد حدته كلما نتقدم إلى الأمام مع وجود أفكار مثل الحلم الأمريكي وغيرها من الأفكار التي تعامل الدنيا على أنها دار استقرار.

علي المرء أن يحقق ذاته، عليه أن يعيش الوهم، عليه أن يأخذ نصيبه من الدنيا، لكنه في نفس الوقت مطالب بأن يعي حجمه وأن يدرك حقيقة أن المعبر معبر وليس بموطن، وهو ما يعبر عنه لسان الفيلسوف بشكل واضح.

هناك حالة من الاستغراب يعيشها بعض الرجال فيما يخص المرأة، خاصة عندما تكون البيئة لا تعرف اختلاطا، لكن الفيلسوف لا يظهر ذلك، كما أنه يظهر جانبا روحانيا قد لا تفهمه بيئة الدنيا المجتمعية، فيخبرنا بأن الخطأ الذكوري لا يختلف عن الخطأ الأنثوي، متجاهلا حقيقة أن الكثير من المجتمعات لا تنظر إلى الأمر بهذه الصورة.

إن العمل يتعامل بحكمة مع من أخطأ، لكنه لا يقلل من الخطأ وحجمه، وينصح بانتهاج طريق الرشاد، لكنه لا ينسى فكرة التقبل، تلك الفكرة التي تؤكد حقيقة أنه من الضروري أن نتقبل بعضنا البعض، وهو ما يجعلنا في حالة من البحث عن المخارج والمساعدات.

قد تنجم الكثير من التصرفات الحمقاء عن المراهق الصغير والمراهقة الصغيرة، وكي نحل الأمر، من الضروري أن نوضح له ولها الفرق بين الصواب والخطأ وأن نتعامل مع الخطأ إن

حدث بالتأكيد على عدم العودة إليه وتوضيح أهمية السعي في طريق الإله والرشاد، وهو ما يعبر عنه الفيلسوف في بعض الفقرات.

المراهق الكامن بداخل الفيلسوف مثير للفضول، حيث أنه يخبرنا بأن هناك فتاة لم تعد تتحدث إليه لأنها قد ارتبطت بأحد الشبان، وبأن هناك فتيات تحوطه باستمرار، وهو ما يمثل سيناريوهات المراهقة بكل تأكيد، وفي نفس الوقت يعبر عن السخرية والتعجب.

الغرور الذكوري واضح في العمل، المراهق الكامن بداخل الفيلسوف يظهر بقوة، وهناك الكثير من الخفايا والخبايا، لأنه يسعى نحو التلاشي والموت بشكل واضح، ويخبرنا بأن الزمان يجري كالقطار، وهو ما يؤكد حقيقة أنه لم يعد قادرا على تقبل وجوده ويسعى نحو الفناء.

إن التعبير عن سرعة الزمان لمسة مكررة في أعمالي، مثلها كمثل الصراع بين الروحانية والشهوات، وهي سرعة تعبر عن اضطراب الشخصيات ورغبتها في التلاشي كنتيجة لكثرة الاختلاجات، وتمثل حالة تسيطر علي البشر بين الحين والآخر، لكنهم يعرضونها ضمن إطار ساخر ودون خلل نفسي أو شيء من هذا القبيل.

يحاول الفيلسوف الهروب من فقدان الشغف والاضطراب العاطفي والإحساس بقلة القيمة عبر الرغبة في الانتقال، لأنه انتقال لا يمثل جانبا روحانيا حتى ولو ظهرت الروحانية عنده ضمن إطارات أخري.

وبالنسبة إلى الغرور، فإنه من الواضح أن الفيلسوف يعاني من بعض لمسات الغرور كأي إنسان، لكنه يحاول أن يقتلها بين الحين والآخر عبر النظر إلى الغرور على أنه مرض مميت ومدمر.

إنه يتحدث مع من يمثل دور النشر، فيخبره بألا يتفوق بإدراكه على إدراكه، يهاجم الكثيرين، يظهر ثقافته الواسعة، ويحاول أن يظهر النبوغ بأي شكل من الأشكال، وهو ما يمثل الحال مع البشر بشكل عام، لكن من الضروري أن يقتل الغرور مع الوقت وأن تقل الذاتية وأن يتقبل الإنسان العالم دون أن يتخلى عن المعتقد.

من ينجح في تحقيق التوازن قدر المستطاع، يسير متزنا قدر الإمكان، لكن الأمر مرهق، وهو ما يحاول الفيلسوف أن يحققه وأن يصل إليه، لكنه فيلسوف غير متزن حتى ولو ظهرت الحكمة بين كلماته في الكثير من اللحظات وحتى ولو عبر عن الحقيقة وأظهر موضوعية وصدقا في أكثر من مرة.

لا تصدق كل ما تراه عزيزي القارئ، فالتجربة مفعمة بالأقنعة والخفايا والهراء!

أفكار ومقالات

لا مناص من أن تكشر التجربة عن أنيابها لمن كثرت التواءاته.

علي المرء أن يدرك سر دفاعه عن شيء ما أو شخص ما قبل أن ينخرط في ذلك. عليه أن يتساءل، هل يتصل الأمر بعاطفة هوجاء؟ هل يقترن بمصلحة؟ هل يرتبط بمنطق وواقع أم يتعلق بطمأنة ذاتية ووهم كبير؟ هل تعمل هذه الحالة على استجلاب أحوال القيمة وشحن الذات لا أكثر ولا أقل أم هناك قضية حقيقية تستحق كل هذا؟

من الضروري أن يقدم المرء على التطرق إلى كل هذه التساؤلات حينما يتخذ الأمر سياقا كهذا، وعليه أن يضع نفسه محل الجميع وألا ينساهم. وفي نفس الوقت عليه أن يضع نفسه في الحسبان، فيتعامل معها بموضوعية وبصورة سليمة. ولكن من لديه الجرأة للإقدام على ذلك؟ ومن لديه منحة إدراك الإدراك دون تهرب أو تلافي؟

هناك خلل جسيم فيما يخص النضج والتعلم، عند من يري أنه على صواب طوال الوقت.

النضج بأكمله يتمثل فى الخروج من دائرة الذاتية المتأصلة والهوس بالنفس، والعمل على الوصول إلى حالة من التقبل والتصالح التام مع الحقيقة والواقع.

النفس فى حاجة إلى الموازنة فيما يخص البحث عن القيمة واللذة، فإن بحثت عن الأولي وحدها أرهقت، وإن بحثت عن

الثانية فحسب شردت. لكن ما يهم حقا قبل كل ذلك، هو الاعتراف بأنها فى حاجة إلى الأمرين، وهو ما يمثل التصالح مع الذات وفهم احتياجاتها دون ادعاء أو ربط أحدهما بالواجهة دون الآخر، لأنه لا مناص من أن يكون التحرك السليم قائما عليهما. فالكشف عن مسار القيمة دون مسار اللذة ادعاء، والعمد إلى اللذة وحدها اختلال، أما الاعتراف بكلا الأمرين وتحقيق الموازنة بينهما، فإنه بمثابة المفتاح.

يحاول أن يتفوق بإدراكه على إدراكك، فتحاول أن تتفوق بإدراكك على إدراكه، فيظهر شخص جديد على الساحة محاولا أن يتفوق على إدراكك وإدراكه، وهكذا! (حلقة وهمية مفرغة).

من الممكن للتوجه الفكري الخاص بالفرد أن يصبغ بصبغة الحماسة العمياء، وهي صبغة قادرة على درء النظرة الموضوعية واستبدالها بنظرة قاصرة تحاول أن ترصد الصورة الحقيقية الواضحة ضمن إطار خيالي غريب وبعيد كل البعد عن المنطق والمجريات السليمة للأمور.

في الحقيقة، لا ترتبط هذه النظرة بالمستوى العقلي للفرد ولا تمت إلى أي مقاييس من الممكن رصدها بسهولة. فالأمر أشبه بتحرير العاطفة وتوجيه ملامحها ناحية أي موضع دون الاهتمام بالتبعات، وهو ما يمثل ضربا من ضروب السلوك البشري الأهوج الذي تحركه عشوائية العقل في الكثير من الأحيان.

لكن الغريب في الأمر يتمثل في حقيقة أن التوجه الكامل لعقل فرد ما، قد يبني وفقا لخطوة عبثية قد اتخذت في البداية

وعمد إليها باستمرار، لتتحول إلى نهج دائم في نهاية المطاف. فمن الممكن لفكر فردي كامل أن يرسخ ويعمق رغم قاعدته الهشة ورغم كثرة العوامل العشوائية التي أدت إلى بلورته وتشكيله.

ومن المهم أن أشير إلى حقيقة أن الإنسان بطبعه يتحرك وفقا لفكرة الإخلاص، فيخلص لعدد من الموضوعات ويوجه كيانه ناحيتها، رغم أن الكثير من مواضع الإخلاص قد لا تمثل سوي طائفة من الخيالات والأوهام، فالذاتية تحرك البشر بشكل واضح والبحث عن المبررات بمثابة الطريقة المعهودة للحفاظ على توجه فكري محدد أو عاطفة بشرية اعتادت الاندفاع في اتجاه ما دون تغيير أو تبديل.

فالعقل البشري ليس بالمرونة التي نتخيلها، وعندما ترسخ بداخله أفكار من نوع ما، يسعي نحو تعميقها وبثها في سياقات مختلفة ذات طبيعة مشتركة فيما يخص الخلفية الخفية. ولهذا من الممكن لتوجه فكري محدد أن يصل بالمرء إلى حالة من النشوة الذهنية القادرة على التنقل بين موضوعات مختلفة، إلا إنها ذات إطار واحد أو ضمن سياق محدد.

إن الكثير من العقول البشرية تقع بسهولة في فخ الحماسة العمياء، وهو ما يؤكد أن الطاقة البشرية تحرر دون عبء بالإطار الذي يتم من خلاله عملية التوظيف، وهو ما يثير الكثير من التساؤلات حيال الفكر البشري وجودته وحجم التشتت الذي يتخلله.

لكن ما يثير الدهشة، قد يكمن في أمثلة عديدة، وربما يمثل أشهرها، دعم فريق فكري محدد أو توجه معين دون الآخر، رغم

أن التجربة البشرية تخبرنا بأنه من الممكن للخطأ أن يشمل كلا الفريقين، وهو ما يجعلنا في حالة من التساؤل حيال ماهية المنافسات التي يحاول البشر أن يقحموا أنفسهم فيها باستمرار.

لكن المصالح البشرية قادرة على إشعال الجدال، والتوجهات الفكرية تتحرك وفقا لها في أغلب الأحيان، ورغم ذلك من الممكن أن نجد تيارا مساندا لفكر ما رغم عدم وجود مصلحة مكتسبة بعد كل ما يقدم من مجهود خادم وداعم، وهو ما يؤكد حقيقة أن العقل البشري يرغب في التحرك في أي طريق حتى لو لم يكن من الضروري له أن يسلك أي مسار. فالتحرك مفروض والسكون منشود، وهو ما يثير الكثير من التناقضات حيال التجربة ويفتح الكثير من المسارات للأسئلة.

فالعاطفة هوجاء وقادرة على تحريك الفكر في الكثير من الأحيان ضمن سياقات غريبة وبعيدة كل البعد عن المنطق. فالأمر أشبه بمن يحب معذبه ومن يعشق ما يضره، وهو ما يمكننا أن نبلوره تحت مسمي "الحماسة العمياء" أو تحت مصطلح "العشوائية الذهنية".

لكن الكثير من التساؤلات قد تثار حيال هذه التوجهات، والعديد من الأطروحات قد تقترح بهدف التخلص من حالة الشتات التي تقدمها هذه الهيئات المرتبطة بالإخلاص.

ورغم ذلك من الممكن للنظرة التجريدية الخالصة أن تحل الكثير من هذه الإشكاليات عبر ترجمة الفكر الفردي إلى مجموعة من الكلمات التي ليس من الضروري لها أن تقدم ما يفيد أو أن تدحض ما يميت، أي أنه من الممكن تقبل العشوائية

عبر اللجوء إلى التجاوز دون تحليل والمرور دون تدقيق، وهو ما يمثل السياق الطبيعي للأمور، في حقيقة الأمر.

إن الوجود بأكمله يثبت باستمرار، عبر عملية التعمير والتنكيس، أن العظمة للإله وحده، وهو سياق يقترن بحكمة إلهية لا تسمح لنا عقولنا الصغيرة بأن ندركها، ولن تدركها أبدا.

لا تحدثنى عن الأشخاص، حدثنى عن الأفكار، فاللذة بها كامنة والطاقة التي تصاحبها غير مهدرة.

يلاعب الجزء الساخر بداخلك الجزء الساخر بداخلى، وتستمر الملاعبة حتى يمل أحدنا الأمر. فاقتران السخرية بالغرور لن يولد سوي النضال والوهم، ولا فرق بين نزاعنا وتصادم وقع بين صخر وموج بحر.

ترقد الحاجة إلى التميز بداخل الإنسان، الحاجة إلى إظهار التميز، الحاجة إلى إخبار الجميع بحجم الإنجازات التى حققها ووصل إليها. تلاعبه بين الحين والآخر، فتهدأ تارة، وتشتد تارة أخري. وعندما تهدأ، قد يخبرنا بأنه ليس فى حاجة إلى إثبات أي شيء لأي إنسان، وعندما تثور، يلاعبه النقص وتحاصره الرغبة فى بلوغ المزيد. وربما تمثل البذرة أو الصورة الأولية لمفهوم تحقيق الذات الذي تطور مع الوقت متخذا الكثير من الصور المعقدة، وربما تعبر عن الحاجة إلى درء انبعاثات الصراع الوجودي ذات الهيئات المتعددة. لكن ما يهمنا حقا يكمن فى الاعتراف بالحقيقة، تلك الحقيقة التى تخبرنا بأن التغير سمة الحياة البشرية وملمح الإنسان المعهود. فالوجود لا يعرف الثبات،

ولم يكن الاستقرار صفة بشرية قط، ولا يمكن أن يكون، ولن يكون أبدا.

لا تظهر حقيقة الإنسان، إلا عندما يتعارض السياق مع مصالحه. فإن تمسك بالحق رغم التعارض، كان صادقا ونجح فى الاختبار. وإن حاول أن يغير الحقائق من أجل ألا يؤذي كيانه، كان من الضروري أن يحبس في نطاق النفاق. فلا توجد اختبارات إلا عند الاحتكاكات. وكل صوت يصدر عن منبر عال، لا يعبر عن صدق إلا بالنزول إلى ساحة التفاعلات. وكلما زاد التفاعل، اشتدت وطأة الاختبار. فلا تحدثني بمثالية وأنت مختبئ وخامل في معظم الأوقات.

أهمية وجود النقيضين

لابد من وجود الأسود ليدرك الأبيض، ومن الضروري وجود الشر ليدرك الخير، ومن المنطقي وجود غير المؤمن ليدرك المؤمن. فعملية التمييز تحتاج إلى وجود النقيضين، لأنها ترتبط بالصفات المقترنة بكل منهما، ورغم ذلك فإنه من المعروف أن هناك منطقية مقترنة بأحدهما وهناك إنكارا مقترن بالآخر، لكن الإنكار إنكار نابع من الجزء الذي تربطه الحقيقة بالمنطق ومدحض بالنسبة إلى الجزء الذي يربط نفسه بالمنطق بصورة تسيطر عليها العبثية والذاتية.

فقد قسم الإله خلقه إلي فريق مؤمن وآخر غير مؤمن، وهو ما يمكننا أن نلحقه بفكرة الاصطفاء. وقد حدد مصير كل فريق بصورة واضحة، لكنه لم يمنح الحق لشخص ما أن يحدد

نهاية أحدهم معتمدا على التخصيص والتحديد، وهو ما يمكننا أن نلاحظه بوضوح. وفي نفس الوقت، يخبرنا المنطق أن للإله الحق الكامل في أن يوجد أشكالا متعددة ومتنوعة ومتلونة ومختلفة البدايات والنهايات من مخلوقاته.

لقد وجد الصنفان كي يحدث التشاحن، فالوجود قائم على التشاحن والتنافر رغم التناغم الملحوظ في بعض الأحيان، لكن التناغم عاجز عن التخلص من تأثيرات التشاحن الذي يمثل السياق والحراك. ومن هنا يمكننا أن نلاحظ بسهولة تعامل كل فريق مع الآخر ضمن إطار مبني على الحمية ومحاولة الجذب، رغم أن القطبين لا مناص من وجودهما ولا مفر من بقائهما، حتى تنتهي التجربة الكلية.

ورغم ذلك، تبقي المحاولات الناجمة عن القطب المنطقي مقبولة ومقدرة، لأنها قد تثمر عن بعض التغييرات الإيجابية، تلك التغييرات القادرة على جذب البعض إلي الفريق الذي تخبرنا الحقيقة بأنه يمثل المنطق، لكنها تغييرات عاجزة عن التخلص من القطب الآخر، لأن الوجود مبني على وجود القطبين، مبني على التشاحن القائم بينهما، مبني على التضارب.

هناك إحساس يراود الإنسان في صغره، ذلك الإحساس الذي يخبره بأنه قادر علي التخلص من القطب الآخر المتعارض مع قطبه. وهو إحساس وهمي بكل تأكيد، إحساس يجب التخلص منه بسرعة وإلا صار المرء محلا للسخرية والعبث. ورغم ذلك، فإنه من المعروف أن هناك أشخاصا قد تمكنوا من إحداث تغييرات جوهرية، لكنهم كانوا استثنائيين، بل ومن الممكن عدهم وتحديدهم.

كما أنه من المعروف أن التغيير عاجز أيضا عن دحض القطب الآخر بشكل تام، وهو ما يمثل المنطق والصواب، فوجود القطبين ضروري للتمييز والتحديد ولا يمكن الاستغناء عن أحدهما بأي شكل من الأشكال.

علي سبيل المثال، هناك فريق غير مؤمن، فريق لم يحصل علي وسام الاصطفاء، فريق يمثل مخلوقات من مخلوقات الإله، فريق للإله عز وجل الحق الكامل أن يفعل به ما يشاء، لأنه من خلقه. اقترن هذا الفريق بصفات محددة، صفات رسمها النص، فتفاعلنا معها وعملنا على تجنبها خوفا من النهاية التي اقترنت بها، تلك النهاية التي حددها النص، ورغم ذلك تبقي النهاية بيد الإله، ويبقي عدله محققا في جميع الأحوال.

فربما يمثل الفريق المعارض مصدر التمييز فحسب، ذلك التمييز القادر على تحديد المؤمن وما يرتبط به من صواب، أما النهاية، فإنها ليست من شأننا بكل تأكيد.

إن وجود الفريقين قادر علي بث التشاحن في الأرجاء، والحماسة الناجمة عن الفريق السليم مقدرة، لكنها لن تثمر عن الكثير، وربما تقترن في الكثير من الأحوال بمحاولة اكتساب الشهرة والصيت، لأن القطب الآخر لا مناص من وجوده بهدف تدعيم التوتر، ذلك التوتر المقترن بالتشاحن، ذلك التشاحن الذي يمثل الوجود رغم السلام والتناغم الذي من الممكن الحصول عليه بين الحين والآخر.

وبعيدا عن محاولات الجذب وحقيقتها، فإنه من الضروري الجمع بين الشدة واللين، فلا نعمد إلى الشدة وحدها، ولا نركن إلى اللين وحده، وهو ما يمثل المنهج المرتبط بالنص، ذلك المنهج

الذي يناسب النفس البشرية القادرة على إدراك الوسطية دون تطرف مقترن بانحراف أو تشدد. فالشدة مقبولة من النص، لكن النفس التقليدية لن تقبلها على لسان أحدهم، ولهذا من الضروري مزجها باللين، وهو ما يمثل الصواب.

وفي النهاية، من الضروري إدراك حقيقة أن بوجود النقيضين ينشب التناحر رغم التناغم المقترن بكل منهما على حدة، وأن عملية التخلص من أحدهما بمثابة الوهم، ورغم ذلك تبقى المحاولات الإيجابية محل تقدير واهتمام.

معتز عرفان



المرأة شيطانة لعينة.

رجال يزورون الجحيم بسبب امرأة.

على المرأة ألا تغادر منزلها.

كل هذا الإنهاك وجمع المال من أجل امرأة.

هل تشمها؟ إنها رائحتهن،

إنها رائحة العفن!

المرأة مصدر الاضطراب.

الميسوجيني

مؤلفات معتز عرفان

كتاب الإيروسية والثاناتوسية

كتيب اللذة الغامضة للاشيء

كتيب تشريح الغريزة

كتيب الجنس والموت

كتيب تأملات سينمائية

كتيب مدخل إلي السينما السريالية (بحث تفصيلي)

كتيب لافام فاتال في الفيلم السينمائي

الدوغمائي ذو اللحية الحمراء (رواية قصيرة)

نباح الكلاب في الباحة الخلفية (رواية قصيرة)

الفيلسوف الذي قتل قطته (رواية قصيرة)

فيلسوف وفتاة (رواية قصيرة)

الميسوجيني اللعين (رواية قصيرة)

دار عرفان للنشر